مَنشُورَاتُ ٱلْمَرْكَزِ ٱللِّيبِيِّ لِلْأَبْحَاثِ وَٱلدِّرَاسَاتِ
سِلْسِلَةُ ٱلنَّدَوَاتِ وَٱلْمُؤْتَمَرَات (07)

ٱلزَّعِيمُ

بَشِيرُ ٱلسَّعْدَاوِيُّ

سِيرَةُ وَطَنٍ مِنْ خِلَالِ سِيرَةِ مُنَاضِلٍ
1884 - 1957م فِي ٱلذِّكْرَى ٱلسِّتِّينَ لِوَفَاتِهِ

أَعْمَالُ ٱلنَّدْوَةِ ٱلْعِلْمِيَّةِ ٱلرَّابِعَةِ
ٱلْمُنْعَقِدَةِ بِطَرَابُلُس - لِيبيَا يَوْمَي 03 - 04 أكتُوبَر 2017م

بُحُوثٌ مُحَكَّمَة

جَمْعُ وَتَحْرِيرُ وَتَقْدِيمُ
أ. مَحْمُود ٱلْمَهْدِي ٱلغتمِي

L.R.S.C
المركز الليبي للأبحاث والدراسات
Libyan Research & Studies centre

موقف فرنسا من القوى الوطنيّة في طرابلس
بشير السَّعداوي أنموذجاً (1945 ـ 1951م)

د. أحمد امراجع نجم
جامعة بنغازي

د. عبد الناصر علي اشتيوي
جامعة سرت

من خلال تتبع موقف فرنسا من القضيّة الليبية (1945 ـ 1951م) في المحافل الدولية أو على صعيد الحراك الوطني الداخلي، يتضح لنا حجم الرفض الفرنسي لنيل ليبيا استقلالها، وذلك لاعتباراتٍ عدّة ليس أقلّها الأهمية الجيو ـ استراتيجية لإقليم فزان الذي سيطرت عليه فرنسا منذ عام 1943م، وخوفها من انتقال حُمّى الاستقلال إلى مستعمراتها في شمال أفريقيا، وأطماع اقتصاديّة باحتمالية وجود نفط في جنوب ليبيا.

لذلك عملت فرنسا على أكثر من مسار لوأد طموح الليبيين في نيل استقلالهم وحريتهم، فكان كبح جماح القوى الوطنية الطرابلسية من التّمدّد في عمق نفوذها الفزّاني على رأس أولوياتها، غير أن الاختراق الذي حَدَث في القضية الليبية وصدور قرار الأمم المتحدة رقم 289 بتاريخ 21 نوفمبر 1949م، بنيل ليبيا استقلالها أَجْبر السُّلطات الفرنسية على تغيير أدوات وأشكال الصراع في ليبيا، فلجأت الحكومة الفرنسية إلى سياسة التفاهم مع الحلفاء والقوى المحلية، في محاولةٍ للوصول إلى صياغة لمفهوم وشكل الدولة المقبل، وذلك لضمان استمرار نفوذها في المنطقة.

ومع ذلك شكل التيار الوحدوي الذي قاده أحمد الفقيه حسن، وبشير السَّعداوي في البداية عقبة جديدة في وجه السياسة الفرنسية في ليبيا، ولهذا عملت تارةً لعرقلة المرحلة الانتقالية التي نصَّت عليها خطة مندوب الأمم المتحدة السيد أدريان بلت، حتى استطاعت الوصول إلى تفاهماتٍ مشتركة مع الزعيم الأبرز للقوى الوطنية الطرابلسية السيد بشير

السَّعداوي فيما يخصّ شكل الحكم والنظام السياسي لليبيا الجديدة وبما يحفظ نفوذها.

تعالج هذه الدراسة موقف فرنسا من القوى الوطنية والأحزاب السياسية في طرابلس بصفةٍ عامة ورئيس حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي بشير السَّعداوي خاصّة، لكونه هو من قاد المفاوضات المكوكيّة مع الأمير محمد ادريس السنوسي، والأكثر حضوراً في الأوساط السياسية الطرابلسية.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن فرنسا لم تتدخّل في سياسة وبرامج وتكوين الأحزاب السياسية الطرابلسية، ولكنها تركّز على تطلع الأحزاب الطرابلسية إلى الانتشار والتّمدّد في إقليم فزان ومحاولة القيام بدور في عملية التغيّر السياسي والاجتماعي في الإقليم من جهة، ومن جهةٍ أخرى الوقوف ضد خطر الأفكار والشعارات الوحدوية التي ترفعها هذه الأحزاب وتُعدُّ أحد المحرمات السياسية.

تحاول هذه الدراسة أن تشرح بعض المحرّكات الكامنة وراء الإطار العام للسياسة الفرنسية تجاه الأحزاب السياسة والقوى الوطنية في إقليم طرابلس، من خلال دراسة وتفسير موقف فرنسا منها ومن السيد بشير السَّعداوي خلال الفترة من 1945 ـ 1952م.

تستند هذه الدراسة أساساً إلى مصادر أولية من أرشيف وزارات الخارجية، والدفاع، والمستعمرات الفرنسية، وبخاصّة تقارير ممثلي فرنسا في ليبيا وتصوّرهم لحل القضية الليبية وكيفية الحفاظ على المصالح الفرنسية، ونفوذ فرنسا ومحاضر اجتماع وزارة الخارجية الفرنسية فيما يخصّ القضية الليبية، وموقف ساسة فرنسا من النُّخب السياسية الطرابلسية.

* * *

فرنسا والأحزاب السّياسيّة الطرابلسيّة

من خلال هذه الدراسة نسعى إلى تقديم مقاربةٍ تحليلية لعلاقة فرنسا بالقوى الوطنية الطرابلسية «الأحزاب والهيئات السياسية» في ضوء ما ورد في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية والدفاع والمستعمرات الفرنسية، والمراجع ذات العلاقة، وعليه يمكن تقسيم علاقة فرنسا بالقوى الوطنية إلى ثلاث مراحل أساسية:

*** المرحلة الأولى ـ مرحلة التجاذبات السياسية 1945 ـ 1949م:**

بطرح المسألة الليبية على طاولة المفاوضات بين الحلفاء في مؤتمر لندن 1945م، عشية بداية الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والغربية، ومطالبة روسيا بموضع قدمٍ لها في طرابلس، والرَّد الأمريكي بأن تُمنح ليبيا استقلالها بعد عشرة سنوات، تُوضع خلالها تحت الوصاية الدولية. أدركت فرنسا أن ملف ليبيا دخل في لعبة الصراع بين الأطراف الدولية، وأن الرّؤى بينها وبين حلفائها ربما تكون بعيدة، ولذلك تبنّت استراتيجية جديدة تقضي بالتّقرب من أعداء الأمس، وهي إيطاليا لإيجاد مقاربةٍ سياسية لتحقيق أهدافها في ليبيا، وهذا المسعى الجديد للسياسة الخارجية الفرنسية أدخلها في تجاذباتٍ سياسية وصراعٍ في بعض الأحيان مع القوى الوطنية في طرابلس، التي كانت ترى في خيار الاستقلال والوحدة هدفاً لا مندوحة عنه. واستمرَّت هذه المرحلة حتى صدور قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا في 21 نوفمبر 1949م.

*** المرحلة الثانية ـ مرحلة الصراع الدبلوماسي والسياسي:**

أقرَّت الخارجية الفرنسية بخسارتها «معركة الاستقلال» في صراعها مع القوى الوطنية في ليبيا ومؤيدي هذا الطرح من الأطراف الدولية، بعد صدور قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا قبل عام 1952م، ما دفعها للدخول في صراعٍ دبلوماسي وسياسي مع القوى الوطنية في طرابلس، خاصّةً لتعطيل استقلال ليبيا ووحدتها كهدف استراتيجي، وعندما اضطرت لقبول هذا الواقع نتيجة للضغوط الدولية والمحلية، سَعَت إلى عرقلة

وصول القوى الوطنية التي لا تؤمن بالطّرح الفيدرالي وتعتنق الأفكار الوحدوية والقومية إلى سدة صنع القرار السياسي في طرابلس، واستمرّت هذه المرحلة من 1949 حتى عام 1952م.

*** المرحلة الثالثة ـ القوى الوطنية وصراع السُّلطة والنظرة الفرنسية في الانتخابات البرلمانية لعام 1952م:**

نحاول من خلال هذه المرحلة معرفة طور وفصل جديد من مجهودات السَّعداوي الذي تعرّض للعديد من المشاكل والمؤامرات أبعدته عن الحكم في ليبيا، وكذلك فرنسا وما الدّور الذي يمكن أن تقوم به في هذه المرحلة التي سترسم رجالات ليبيا وسياسييها الجدد، إذاً مرحلة أخرى من الصراع السياسي تُفتح، ولزم علينا محاولة الكشف عن خفاياها، علّنا نجد المعلومة التي تفيدنا في فهم أحداث تلك الانتخابات ونتائجها وانعكاساتها على مستقبل ليبيا.

* * *

*** المرحلة الأولى ـ مرحلة التجاذبات السياسية 1945 ـ 1949م:**

عَرَفت المرحلة الأولى من العلاقة بين القوى الوطنية الممثلة في الأحزاب السياسية الطرابلسية تجاذبات سياسية وصلت في كثير من الأحيان باتهام فرنسا إنها دولة مستعمرة وتصادر الحريات العامة. ويمكن أن نُرجع تأزم العلاقة بين فرنسا والأحزاب والجماعات السياسية للموقف الفرنسي المؤيد لرجوع طرابلس تحت الوصاية الإيطالية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء عبَّر قائد قوات فرنسا الحرة الجنرال شارل ديجول عن نشوة النصر بقوله: **(إن إقليم فزان نصيب فرنسا العادل من هذه الحرب)**[1] إضافة إلى ذلك أنه في عام 1943م وجَّه كلمة إلى أهالي فزان يطمئنهم فيها

(1) De Gaulle Charles, Letters notes et carnets, ttélégramme du général de Gaulle au général Leclerc, le 22 septembre 1942, éd. Plon, 1982, P 400.

بأنهم سيكونون بأمانٍ تحت الحماية الفرنسية[1]، ما أكّد على عزم فرنسا إطالة البقاء في هذا الإقليم. بهذه الكلمات وضع شارل ديجول الخطوط العريضة لسياسة بلاده تجاه ليبيا، وهي العمل على الاحتفاظ بهذا الجزء من البلاد، غير أن ذلك يتطلب العمل والتنسيق بين حلفاء فرنسا وخاصة شريكها في السيطرة العسكرية على ليبيا، المملكة المتحدة بموجب مذكرة تفاهم بين البلدين في 23 يناير 1943م. ولقاء «لوكلير ـ مونتغمري» في 26 يناير لترسيم الحدود بين ولايتي طرابلس وفزان، خاصّةً مع إصرار فرنسا ضم غدامس ودِرج الى إقليم فزّان لمكانتهما الاستراتيجية لفرنسا في ضبط الحدود وحركة النقل مع تونس والجزائر[2]، بناءً على هذا التوجه بدأت وزارة الخارجية والدفاع في فرنسا العمل على وضع الخطط والسياسات لتنفيذ هذه الرؤية الاستراتيجية.

ممّا لا شك فيه أن الأهمية الجيو استراتيجية لإقليم فزان بالنّسبة للمستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا والوسطى والغربية، هي من حتّمت على صانعي القرار في باريس المضي قدماً في هذا التصور على الرغم من العراقيل التي سوف تواجهه.

عندما عُرضت القضية الليبية على الحلفاء من خلال المؤتمرات التي عُقدت بلندن في شهر سبتمبر 1945م، وباريس 1946م، ثم مؤتمر الصلح مع إيطاليا 1947م، حرصت فرنسا على رفض كل ما من شأنه أن يؤدّي إلى استقلال ليبيا ووحدتها، وذلك للأسباب الرئيسة التالية:

1 ـ الأهمية العسكرية والجيو ـ استراتيجية لفزّان، فهي تحتوي على خَمْس قواعد عسكرية، وحلقة وصل بين المستعمرات الفرنسية في وسط وشمال القارة، وحزام أمن

(1) Ibrahim Abdallah Ali, «Les conditions administratives, économiques et sociales au Fezzan sous l'administration militaire française 1943 _ 1956», Moncef Ouannès et Pierre Noël Denieuil, Une histoire méconnue. Les relations libyo _ françaises au Fezzan de 1943 à 1956, Édition Cérès, Tunis, IRMC, 2012, p. 92.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous _ série anciennes colonies italiennes 1944 _ 1952, dossier n°2, télégramme n°73, de Tripoli aux ministres des Affaires étrangères, le 19 octobre 1945.

لمستعمراتها في شمال أفريقيا.

2 ـ تخوّف فرنسا من نمو الشعور القومي في بلدان المغرب العربي بسبب حصول ليبيا على استقلالها، ما يؤدّي ذلك إلى موجاتٍ من المدّ القومي في مستعمراتها.

3 ـ إضافة إلى خوف فرنسا من حصول الشيوعيين السوفييت على موطئ قدم في ليبيا، ما يُشكل خطراً كبيراً على مستعمراتها[1].

ففي 13 أكتوبر 1945، في باريس، طالب شارل ديجول في تصريحٍ له بتأييده لرجوع طرابلس وبرقة إلى الاستعمار الإيطالي[2]، وللتأكيد على موقف بلاده في مؤتمر لندن سنة 1945م، عندما وافقت فرنسا على الطَّرح الأمريكي بوضع ليبيا تحت وصاية دولية لمدة عشر سنوات[3]. استُقبل تصريح ديجول بامتعاضٍ شديد في الأوساط الطرابلسية، فبعث زعماء طرابلس برسالة إلى القنصلية الفرنسية في طرابلس يبدون استعدادهم لقبول أية وصاية، ويُفضّلون أن تكون عربية ولكنهم ضد عودة إيطاليا إلى طرابلس[4]. وفي السياق

(1) خلال مؤتمر لندن 1945م، أعلن مولتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي بأن حكومته تحبذ وضع كل المستعمرات الإفريقية تحت إدارة واحدة من الدول الأربع، وأن الاتحاد السوفياتي على أتم استعداد لتسلم إدارة الأجزاء الغربية من ليبيا، أي طرابلس. للمزيد من المعلومات انظر: نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار إلى الاستقلال، جامعة الدول العربية القاهرة، 1958م، ص163.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°3, lettre n°63 le 22 octobre 1945 de Raoul Le Bourgois, vice ـ consul du France à Tripoli, à Ministre des Affaires étrangères à Paris.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°60, compte ـ rendu n°143, de la séance du 14 septembre 1945, tenue à Lancaster House Londres.

(4) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°2, Lettre n°278, de M. Ali el ـ Féki Hassen, au Consul du France à Tripoli M. Chambard, le 21 septembre 1946, et aussi Lettre n°285, du Partis Front National uni au Ministre des Affaires étrangères, publié dans le Journal Trablous el Gharb, le 27 octobre 1946.

نفسه صرّح ديغول لرئيس وزراء إيطاليا «دي غاسبري» أن فرنسا لا تمانع من عودة إيطاليا إلى طرابلس وبرقة، لأنه يرى لإيطاليا الحق في ذلك، خاصّةً بعد مشاركتها لدول الحلفاء[1] في نهاية عام 1943م بقيادة بادوليو ومساهمتها في القضاء على الفاشية[2].

بدأت القوى الوطنية في طرابلس تشعر بالخطر الذي يُحاك لمصير البلاد ربما بالعودة إلى الاستعمار الإيطالي من جديد، وكانت الانطلاقة بإعادة تنظيم صفوفها في شكل نادٍ أدبي لم يطل به الحال حتى تحوّل على يد الأستاذ علي الفقيه حسن إلى حزب سياسي في 8 يناير 1946م، لتكون بداية انطلاق العمل السياسي في طرابلس والنضال من أجل قضية واحدة وهي استقلال ليبيا ووحدتها، وإن تباينت الأنماط، والتي عَبّرت من خلالها النُّخب الطرابلسية عن تطلعاتها وأمانيها، وذلك في كثيرٍ من الأحيان بسبب التدخل الخارجي والصراع على الزعامة والسُّلطة[3].

ولفهمٍ أكثر لنشاط هذه الأحزاب والهيئات وموقف فرنسا منها نذكرها في إيجاز:

1 ـ الحزب الوطني:

أول الأحزاب برئاسة أحمد الفقيه حسن، في 8 أبريل 1946م، لم يكن له برنامج سياسي واضح بخصوص مستقبل ليبيا ومسألتي الوحدة والإمارة السنوسية، ولهذا استقال معظم أعضائه الفاعلين مثل رئيسه علي الفقيه، وسالم المنتصر.

2 ـ الكتلة الوطنية الحرة:

في 30 مايو 1946م أعلن علي الفقيه حسن تأسيس حزب الكتلة الوطنية الحرة،

---

(1) Guillen Pierre. «De Gaulle et l'Italie, de la Libération à son départ du pouvoir (1944 ـ 1946)». In: De Gaulle et l'Italie. Actes du colloque de Rome, 1er ـ 3 mars 1990. Rome: École Française de Rome, 1997. pp. 45 ـ 64.

(2) BESSIS, J., La Libye contemporaine, histoire et perspectives méditerranéennes, L'Harmattan, Paris, 1986, p.63.

(3) محمد الهادي عبدالله أبوعجيلة، كفاح الشعب الليبي من أجل الوحدة والاستقلال (1939 ـ 1963م) دار ومكتبة الشعب، 2012م، ص133.

دعا من خلاله إلى الاستقلال التام ووحدة الأراضي الليبية والانضمام للجامعة العربية، وعدم ربط إمارة الأمير محمد إدريس السنوسي بقضية وحدة ليبيا واستقلالها، كما كان ضد الوجود الإيطالي في البلاد وسيطرتهم على المناصب الإدارية.

3 ـ الجبهة الوطنية المتحدة:

أُسِّس هذا الحزب بزعامة سالم المنتصر في مايو 1946م، وحظي بتأييد العديد من أعيان البلاد وشيوخ القبائل، وأفصح الحزب عن مبادئه في مذكرةٍ وزّعها على رؤساء الدول الكبرى، وأهم هذه المبادئ هي: وحدة ليبيا والاستقلال تحت حكم ديمقراطي، وعضوية الجامعة العربية[1].

4 ـ حزب الاتحاد المصري الطرابلسي:

تأسَّس هذا حزب في 16 مايو 1946م بقيادة علي رجب، الذي يَرَى أن استقلال ليبيا يجب أن يكون تحت التّاج المصري والدفاع عن فلسطين والوقوف أمام عودة الإيطاليين لليبيا.

5 ـ حزب الأحرار:

ظهر هذا الحزب في مارس 1948م، على يد بعض المثقفين الطرابلسيين، ولم تختلف أهداف ومبادئ الحزب عن سابقيه، مع تأكيده على تأييده تنصيب الأمير محمد إدريس السنوسي على عرش ليبيا[2].

6 ـ حزب الاستقلال:

في يوليو 1949م، أُسِّس هذا الحزب بعد الخلاف الذي حدث بين بشير السَّعداوي

(1) عقيل البربار، حركة التحرر الليبية في القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني والثلاثون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2011م، ص64.

(2) للمزيد من التفاصيل عن الأحزاب الطرابلسية انظر: سالمة محمد الجاضرة، الجماعات السياسية الليبية، أصولها التاريخية ومواقفها السياسية وممارستها التوفيقية (1943 ـ 1951م) رسالة ماجستير غير منشورة، 14 ـ 02 ـ 1984م، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قاريونس [سابقاً].

وسالم المنتصر حول قضية الوحدة واستقلال ليبيا تحت إمارة الأمير محمد إدريس السنوسي، ودَعَم هذا الحزب معارضي السَّعداوي والجامعة العربية، وتحصَّل الحزب على دعم إيطاليا، وملخص برنامج هذا الحزب السياسي بأن يُترك للشعب الليبي حق اختيار شكل النظام السياسي الذي يرتضيه على أساس انتخاباتٍ تضم ممثلي الأحزاب السياسية في ليبيا، كما يعتقد الحزب بأن إيطاليا أصلح من الجامعة العربية لمساعدة ليبيا في نيل استقلالها، لأن الجامعة العربية غير مَرْضي عنها[1].

7 ـ حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي:

أسفرت المساعي التي قادها بشير بك السَّعداوي بدعوة القيادات السياسية الطرابلسية، ورؤساء الهيئات السياسية إلى اجتماعٍ عام لتوحيد الجهود الطرابلسية في كيانٍ سياسيٍ واحد، ليُعبّر عنهم في المحافل المحلية والدولية، قرَّر المؤتمرون في جامع المجابرة بمسلاّتة في 21 أغسطس 1949م، تكوين حزب سياسي أُطلق عليه اسم المؤتمر الوطني؛ حيث انتُخب بشير السَّعداوي رئيساً له، ومحمد أبو الأسعاد العالم، ومصطفى ميزران، والطاهر المريّض نواباً للرئيس[2].

بدأت الأحزاب السياسية الطرابلسية محاولة الاتصال بباقي أجزاء الوطن ونشر أفكارها ومبادئها إيماناً بواجبها الوطني والقومي، فتقدّم الحزب الوطني في أواخر ديسمبر 1946م إلى القنصل العام لفرنسا في طرابلس، بفتح فروعٍ له في سبها، وغدامس للعمل على وحدة الأمة الليبية وتحقيق أمانيها في الاستقلال والوحدة. وقد أبدت السلطات الفرنسية انزعاجها من هذا الطلب، خاصّة أنها منعت جميع أنواع النشاط السياسي في فزّان، فأبلغت الخارجية الفرنسية في 24 يناير 1947م السيد مصطفى ميزران بأن حزبه غير مرحّب

(1) مجيد خدوري، ليبيا الحديث، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نيقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص119.

(2) ارويعي محمد علي قناوي، بشير السَّعداوي والحركة الوطنية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م، ص316 ـ 317.

به في فزان[1].

وفي السياق نفسه فإن أفكار ومبادئ حزب الكتلة الوطنية الحرة وَجَدت لها أنصاراً ومعتنقين لها في غدامس، وذلك عَبْر رسائل كان يرسلها «علي الفقيه حسن» يشرح فيها أفكار الحزب وأهدافه[2]. فوجّه أعيان ووجهاء غدامس، وعلى رأسهم القاضي أحمد عز الدين خطاباً إلى حزب الكتلة الوطنية الحرة يعلنون فيه تأييدهم لمبادئ الكتلة، فوقَعَ الخطاب في يد السلطات الفرنسية التي سارعت على الفور إلى عزل القاضي الشرعي أحمد عز الدين والتحقيق مع باقي الأعضاء[3].

انزعجت الكتلة الوطنية الحرة من الإجراءات الفرنسية واعتبرت عزلهم للقاضي الشرعي أحمد عز الدين: (اختراق للخطة التي رسمتها لهم «فرنسا» من طرف الحلفاء في إدارة تلك البلاد مؤقتاً، كما إنّها تسعى إلى تحطيم الآمال القومية والرغبات الوطنية وتصادر كل فكر حر، وإنها تمنع كل رجلٍ يرغب بالانضواء لرجال الوطن الأحرار بطرابلس، وإن كل محاولة تقوم بها فرنسا مصادمة لرغبات الأمة الطرابلسية ستصاب بالفشل)[4].

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°34, Lettre de Ministre des Affaires étrangères à Paris au Consul de France à Tripoli, le 24 janvier 1947.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°34, Lettre n°236, de Bloc National Liberal à Tripoli à Ali Bouchaa et Hadj Ahmed ben Haroun de Ghadamès le 1er mars 1947, traduction de l'arabe.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°34, lettre d'Ali Bouchaa et Hadj Ahmed ben Haroun de Ghadamès aux membres du Bloc national Libéral à Tripoli, le 10 mars 1947 Traduction de l'arabe. Cette lettre n'est pas sortie de Ghadamès, car elle est tombée aux mains des Français, dossier n° 34, K.166-3, A.M.A.E.

(4) خطاب علي الفقيه حسن إلى جناب قنصل فرنسا في طرابلس، مذكرة احتجاج لدى الحكومة الفرنسية =

استمرّت فرنسا في هذه المرحلة في استخدام الورقة الإيطالية كأفضل خيارٍ لها للحفاظ على مصالحها ونفوذها في المنطقة، والإدعاء بأحقيّة إيطاليا في أي مشروعٍ وصاية على طرابلس، هذه المناكفة السياسية استخدمتها فرنسا مع حلفائها أيضاً لإبقاء الوضع في ليبيا على ما هو عليه حتى بعد توقيع معاهدة الصلح في باريس سنة 1947م، وتنازل إيطاليا عن جميع مستعمراتها.

ففي 17 سبتمبر 1947م صرَّح وزير الخارجية الفرنسي بيدو Bidault (بأنه سيبذل جهده لإشراك إيطاليا في هيئة الأمم المتحدة حتى تتمكن [إيطاليا] من العمل في تلك السواحل من جديد تحت إشراف الأمم المتحدة)[1].

أثارت تصريحات الوزير الفرنسي غضب وحنق علي الفقيه حسن والكتلة والوطنية الحرة، والتي ردّت بعباراتٍ شديدة اللهجة في رسالةٍ بتاريخ 19 سبتمبر 1947م، للخارجية الفرنسية نورد بعضاً منها (هذا التصريح لا يمت للحقيقة بصلة، وإنما بدافع العنصرية اللاتينية، ولا يحترم مواد ميثاق الأطلنطي ومعاهدة الصلح وميثاق الجامعة العربية، ولا رغبات الأمة الليبية. . . وأنه مشبع بروح الجشع والاستعمار، وأنه مندفع بالعاطفة العنصرية نحو الشعب اللاتيني)[2].

وفي السياق ذاته اجتمع أهم حزبين وطنيين في طرابلس، وهما الكتلة الوطنية الحرة، والحزب الوطني في 22 نوفمبر 1947م، واتفقا على العمل سوياً على عدم عودة إيطاليا إلى طرابلس، خاصة بعد أن أيقنا أن الحكومة الفرنسية تدعم عودة

= بباريس بخصوص أعمالها في غدامس، 8 يوليو 1947م، ملف 44، ملف المستعمرات الإيطالية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

(1) رسالة الكتلة الوطنية الحرة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، حول تصريحات الوزير بيدو، 19 سبتمبر 1947م، ملف 44، ملف المستعمرات الإيطالية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

(2) رسالة الكتلة الوطنية الحرة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، حول تصريحات الوزير بيدو، 19 سبتمبر 1947م، ملف 44، ملف المستعمرات الايطالية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

إيطاليا إلى طرابلس[1].

أدركت الجامعة العربية ومصر حالة التّشظي التي تعاني منها القوى الوطنية خاصةً فيما يخص الخلاف بين الأحزاب السياسية حول مسألة الإمارة السنوسية واستقلال البلاد، وتصوّرت أن مسألة توحيد الجهود الوطنية في الداخل أصبحت مسألة مُلحّة، خاصة بقرب توقيع معاهدة الصُّلح مع إيطاليا 1947م، وإرسال لجنة تحقيق دولية إلى ليبيا للاستماع لمطالب السُّكان. وأُوكلت هذه المهمة لبشير بك السَّعداوي، الذي اجتمع بالزعماء الطرابلسيين في القاهرة في منزل جواد بن زكري، وانتهى الاجتماع بتأسيس هيئة تحرير ليبيا في 13 مارس 1947م، وعُيِّن بشير السَّعداوي رئيساً لها وعضوية كلٍ من: أحمد السويحلي، جواد بن زكري، ومنصور بن قدارة، وطاهر المريّض، ومحمود المنتصر[2].

انتقلت الهيئة إلى طرابلس في مارس 1948م، قبل وصول اللجنة التحقيق الدولية، وقد أسفرت مساعي السَّعداوي على توحيد كلمة الأحزاب الطرابلسية أمام اللجنة الدولية، وذلك بالتوقيع على اتفاق في 20 مارس 1948م، ينصّ على المطالبة بالوحدة والاستقلال والانضمام للجامعة العربية مع تجنب مسألة الإمارة السنوسية لتوحيد الصفوف. ولم يتوقف نشاط السَّعداوي على طرابلس، بل عزم على الانتقال إلى فزّان لتوعية السكان بالمطالبة بالاستقلال والوحدة، غير أن الإدارة الفرنسية التي كانت تدرك خطورة تحرك السَّعداوي ومطالبه السياسية، رفضت طلبه بدخول فزان، الأمر الذي أغضب السَّعداوي وعبّر عن ذلك في بيانٍ للشعب الليبي اتهم فيه فرنسا بالعمل على إغلاق المنطقة أمام أبناء طرابلس،

(1) Archives de MAE La Courneuve, Série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°44, lettre n°37 le 25 novembre 1947, de M. Chambard consul de France à Tripoli, au M. Le Ministre français des Affaires étrangère, sur l'entente entre les partis tripolitains.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، الجزء الأول، القاهرة، 1957م، ص2؛ انظر كذلك: ارويعي قناوي، المرجع نفسه، ص238.

ومنعهم من الاستماع إلى الناس ومطالبهم بشأن مصير البلاد خلال زيارة اللجنة الرباعية، وتوعّد فرنسا بأنهم لن يتركوا فزان ومصيرها رهناً بيد فرنسا، ولن نسمح بانفصال فزان عن الوطن[1].

لم يقتصر التنديد بالتدخل الفرنسي في طرابلس ودعمها لعودة إيطاليا إلى مستعمراتها على الأحزاب اليمينية «الوطنية»، فقد دَعَت اللجنة الطرابلسية[2] في القاهرة الحكومة الفرنسية بعدم إعطاء وعودٍ لعودة إيطاليا إلى طرابلس، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما حاولت تذكير الحكومة الفرنسية بأنه لا يوجد معاهدة بين الطرابلسيين والفرنسيين تسمح لهم باحتلال جزء من الأراضي الليبية، ولهذا فإن الكتلة الطرابلسية ضد الاحتلال الفرنسي وتطلب منهم مغادرة الأراضي الطرابلسية[3].

فالواقع أن الفرنسيين على درجةٍ كبيرة من الخوف من تحصّل ليبيا على استقلالها، ذلك أنهم يرون أن مصالحهم السياسية والاستراتيجية ليس فقط في فزان، بل في شمال أفريقيا بالكامل محفوفةً بالمخاطر، في ظل تنامي التيار السياسي الوطني وروح الاستقلال المدعومة من مصر والجامعة العربية التي قد تدعم دول المغرب العربي.

لذلك كان الساسة الفرنسيون يعتقدون أن الترويج لنظام الوصاية والتحالف مع

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°5, extrait du manifeste de S.E. Bechier bey Essaadaoui au peuple libyen, le 2 septembre 1948.

(2) أُعلن في أكتوبر 1943م عن تشكيلها رسمياً في القاهرة من قبل المهاجرين الليبيين، واختير أحمد السويحلي رئيساً لها، ومن مبادئها: المطالبة بالاستقلال، والوحدة ومناهضة الاستعمار، واستمرّت في الوجود حتى سنة 1952م، للمزيد من المعلومات انظر: عز الدين العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص256 ـ 266.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°44, note n°22 du Comite tripolitain du Caire à L'Ambassadeur de France au Caire, le 2 avril 1947.

إيطاليا والعمل على عودتها إلى طرابلس في ظل الأمم المتحدة، خير ضامنٍ لاستمرار الهيمنة الفرنسية على فزان وشمال أفريقيا ومقاومة المد القومي في المنطقة.

غير أن هذه السياسة في بُعدها الأول واجهت معارضة من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي لم تحسم أمرها بشأن المسألة الليبية في البداية، بالإضافة إلى الجامعة العربية والقوى المحلية، ومع ذلك استمرّت فرنسا حتى بعد إخفاق مؤتمر باريس في ديسمبر 1948م، في إيجاد تسوية للقضية الليبية، إلاّ عبر تأييدها للوصاية الإيطالية على طرابلس، لهذا أَرْسلت الأحزاب الطرابلسية بتاريخ 8 ديسمبر 1948م رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تُندّد فيها بتصريح الحكومة الفرنسية في 3 ديسمبر 1948م، والتي دَعَت فيه إلى الوصاية الإيطالية على طرابلس، كما دعت في الوقت نفسه إلى رفضها لجميع أشكال الوصاية على ليبيا وحقها في الاستقلال، ورسالة أخرى إلى قنصل فرنسا في طرابلس، تحذّر فيه فرنسا من مغبة اتّباع هذه السياسة لتعارضها مع الأماني القومية والوطنية للأمة الطرابلسية[1].

وفي إطار المساعي الدولية لحل القضية الليبية، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 8 ديسمبر 1948م، قراراً يقضي بتأجيل موضوع المستعمرات الإيطالية إلى دورة أبريل 1949م. ومن ناحيةٍ أخرى أصدر مجلس جامعة الدول العربية في جلسته المنعقدة بتاريخ 21 مارس 1949م، قراراً يقضي بإرسال وفدٍ ليبي موحد إلى «ليك سكسيس»[*]. وعملاً بهذا القرار عقد زعماء طرابلس اجتماعاً في 31 مارس 1949م،

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°5, télégramme n°191, de Consulat français à Tripoli au Ministre des Affaires étrangères, traduction une lettre des Partis libyennes t le 8 décembre 1948.

(*) ليك سكسيس هي بلدة في ولاية نيويوك بأمريكا ضمّت المقر المؤقت للأمم المتحدة بين عامي 1946 ـ 1951م. (المُحرِّر).

لانتخاب ممثلي طرابلس في الأمم المتحدة، فقرّر المجتمعون اختيار منصور بن قدارة، وجواد زكري، ومحمد فؤاد شكري[1].

تحرّك حزب الاستقلال وأعيان وزعماء المناطق المحيطة بطرابلس ضد هذا الاختيار، فأصدروا بياناتٍ تحمل توقيعهم واسمائهم موجّهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يَذْكرون فيها أن هذا الوفد لا يُمثّل طرابلس. وأصحاب هذه الرسائل هم أعيان وزعماء المناطق التالية: مصراتة، وبني وليد، ومنطقة القِبلة، وسوق الجمعة، وترهونة، وغريان، والزنتان[2]، وفي الحقيقة هذه خطوة ليست بالعمل السهل، وتحمل في طيّاتها رسالة سياسية مفادها أن هيئة تحرير ليبيا وبعض الأحزاب التي انضوت للعمل تحتها لا تُمثّل طرابلس. اقترح Chambard «شمبار» قنصل فرنسا في طرابلس[3] على وزارة خارجيته استغلال هذه البيانات لإحراج الوفد الطرابلسي، وذلك بعد ان أخّرت بريطانيا إرسالها بحجة التأكد من التوقيعات وختم أصحابها، وكان القنصل الفرنسي يأمل أن أرسال هذه البرقيات إلى الأمم

(1) ارويعي قناوي، المرجع نفسه، ص299 ـ 298.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°6, les télégrammes des notables libyens, DOC N° 235, 236;237, 238, 239, 240, 2041,2042.

(3) منذ طَرْح المشروع البريطاني في مؤتمر باريس والقاضي بمنح ليبيا استقلالها فوراً، أدركت فرنسا أن عليها البحث في الأمم المتحد عن حليفٍ جديدة يدعم رؤيتها في حل الملف الليبي والوقف ضد المقترح البريطاني السابق «استقلال ليبيا»، فوجدت في إيطاليا المستعمِر القديم السَّند والحجة القوية لتعطيل تمرير أي مشروعٍ في ليبيا، خاصّة وأن إيطاليا مدعومة من قبل الكتلة اللاّتينية في الأمم المتحدة.

- Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°64, télégramme n°09 de l'Ambassade de France à Rome au Département des Affaires étrangères, le 14 octobre 1948.
- Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°64, note n°25, un entretien avec M. le Conseiller de l'Ambassade d'Italie à Paris au sujet des colonies italiennes, le 21 octobre 1948.

المتحدة سوف يُحرج الوفد الطرابلسي[1]، الذي طالب على لسان المتحدّث باسمه الدكتور محمد فؤاد شكري باستقلال ليبيا وهاجم الدول الاستعمارية وعلى رأسها إيطاليا[2].

أبْدَت الحكومة الإيطالية تخوّفها من تحرّك الوفدين الطرابلسي والعربي في دهاليز الأمم المتحدة، لذلك طلبت من قنصل فرنسا السيد «شمبار»، تسهيل سفر إبراهيم بن شعبان إلى «ليك سكسيس» ليُسجّل نقطة احتجاجٍ ضد ممثل طرابلس، ولم يتأخر قنصل فرنسا بلقاء بن شعبان وسالم المنتصر رئيس حزب الاستقلال وطاهر القرمانلي، وبعد نقاشاتٍ مستفيضة عن الحالة الليبية أدرك «شمبار» ما يحملونه من عداءٍ للوجود البريطاني في طرابلس وما سيقدّمونه من تنازلاتٍ لإيطاليا. غير أن الإدارة الفرنسية أخطرت شمبار بأن تسفير بن شعبان لا يمكن أن يتم دون موافقة الأمم المتحدة، وهذا ما لا تملكه فرنسا على اعتبار أن دولة الإدارة في طرابلس هي بريطانيا. هذا الحراك الإيطالي والفرنسي على الساحة الطرابلسية، يوضّح مدى انزعاج وتخوّف هذه الأطراف من إصرار الوفد الطرابلسي على استبعاد إيطاليا من أية تسوية سياسية بخصوص ليبيا وتصميمها على الاستقلال والوحدة.

لم تتوقّف المساعي الفرنسية الحثيثة بالعمل على عودة إيطاليا إلى طرابلس، فقد اتفقت سراً مع إيطاليا وبريطانيا على مشروع وصاية ثلاثية أُطلق عليه اسم مشروع بيفن ـ سفوزا[3]. وبمجرّد أن انتشر خبر مناقشة المشروع إلى الصحافة، حتى خرجت المظاهرات المنددّة به، ووصفته بالعمل المشين، وصوّرت فرنسا بأنها دولة استعمارية تريد احتلال ليبيا مع باقي الدول الاستعمارية.

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°6, Lettre n°234, de M. Chambard, consul de France à Tripoli à M Schuman, ministre des Affaires étrangères, le 15 Avril 1949.

(2) ارويعي قناوي، المرجع السابق، ص301 ـ 302.

(3) محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، ج1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، 2004م، ص243. انظر كذلك: كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة عبد القادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1987م، ص247.

لم تَعْرف طرابلس في تاريخها المعاصر مظاهراتٍ بهذا الحجم، ولا القوة على الاستمرار في الزخم الشعبي، والذي انطلق في 9 مايو 1949 ـ انظر صورة رقم (1) ـ ؛ حيث شارك فيها الجميع من طُلاّب المدارس، وسياسيين، وأعيان، ورجال الدِّين بـ 400 شخص حسب المصادر البريطانية والفرنسية، لتتجاوز في يوم السادس عشر من مايو العشرين ألفاً، ورُفعت فيها الشعارات المعادية لدول الوصاية، وكان نصيب فرنسا من هذا التنديد «تسقط فرنسا»، «والموت لفرنسا». وانتهى الحراك السياسي بسقوط مشروع بيفن ـ سفوزا وزيادة نفوذ حزب المؤتمر الوطني في الحياة السياسية الطرابلسية، وبدأ الطرابلسيون أكثر قبولاً لفكرة الوحدة مع برقة والأمير محمد إدريس[1].

مظاهرة مايو 1949م في طرابلس ضد مشروع بيفن ـ سفورزا[2]

(1) وثيقة رقم 75، ملف 7، تقرير القنصل شمبار إلى وزير الخارجية.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°7, échauffements entre police et manifestants à Tripoli le 11 mai 1949, Photo n°213.

وفي أكتوبر 1949م، وخلال جلسة للأمم المتحدة في «ليك سكسيس»، كان أول لقاءٍ رسمي يجمع بشير السَّعداوي، مع شخصيةٍ سياسية فرنسية بهذا المستوى وهو «موريس كوف دو مورفيل» Maurice Couve de Murville رئيس الوفد الفرنسي إلى ليك سكسيس. وكتمهيدٍ لمدِّ جسور الودّ مع فرنسا طالب بشير السَّعداوي بإقامة علاقة مميزة بين فرنسا والعرب، عندها ذكّر «كوف دو مورفيل» السَّعداوي بمواقفه العدائية لفرنسا منذ زيارة لجنة التحقيق الدولية سنة 1948م، خاصة فيما يتعلّق بفزان، وإنه منذ ذلك التاريخ لم يُعطِ تصريحاً إيجابياً نحو فرنسا. غَيْر أن السَّعداوي أكمل حديثه حول رؤيته لمستقبل ليبيا، وأنه يريد الاستقلال والوحدة، ثم تحدَّث عن المشاكل التي تواجه هذا الطرح، ممّا يتطلّب الأمر مساعدة فرنسية. وفي المقابل تعهد السَّعداوي بالحفاظ على المصالح الإيطالية في طرابلس، وأن يحترم ويراعي الوضع الفرنسي في فزان[1]، وكان اللقاء بالنسبة لفرنسا جلسة تعارف لمعرفة مواقف السَّعداوي الحقيقية من فرنسا بعيداً عن الإعلام، أما السَّعداوي فإنه يُدرك أن فرنسا أحد العقبات الرَّئيسة في الملف الليبي، ولِحَلّحَلة هذا الملف لابد من بحث الأمر معها مباشرةً، ودعم الأخيرة لاستقلال ليبيا، ولهذا قدَّم رؤيته لمستقبل ليبيا في الاستقلال والوحدة.

تميّزت هذه المرحلة بالتجاذبات السياسية بين فرنسا والقوى الوطنية الطرابلسية بسبب دعم الأولى لفكرة الوصاية الإيطالية على طرابلس، غير أن العلاقة لم تتجاوز التنديد بالسياسة الفرنسية محلياً ودولياً والاحتجاج على سياستها. أمّا فرنسا فإن سياستها تجاه القضية الليبية في المحافل الدولية نجحت إلى حدٍ كبير في استغلال التناقضات الدولية حول المسألة الليبية، وذلك عبر التّمسك بعودة صاحب الحق الشرعي ـ حسب وجهة النظر الفرنسية ـ

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°10, lettre n°218, de M. Jean Chauvel délégué du France auprès des N.U, au Ministre des Affaires étrangères, conversations avec les délégations tripolitaines aux N.U. Le 29 octobre 1949.

في هذه المستعمرات على اعتبار أنها كانت تحت حكم إيطاليا قبل عصر الفاشيست. وداخلياً استطاعت عبر التحالف والتنسيق مع إيطاليا ومؤيديها في طرابلس من أحزابٍ سياسية وشخصياتٍ وطنية من عرقلة وشق صف القوى الوطنية، وذلك عبر تأليب طرفٍ ضد آخر، واستغلال الصراع على الزعامة بين بشير السَّعداوي، وسالم المنتصر، وعلي الفقيه حسن. وكان ذلك واضحاً في موقف حزب الاستقلال وسالم المنتصر، والقرمانلي من السيد بشير السَّعداوي ومساعيه الدولية لتوحيد القوى الوطنية. ومن ناحيةٍ ثالثة وُفّقت الخارجية الفرنسية في منع التيار الوطني من الانتشار والتّمدد في إقليم فزّان، وذلك عبر اتّباع سياسة مصادرة الحريات العامة ومنع النشاط السياسي في الإقليم، والقبض على كل من يؤمن ويتبع الأحزاب السياسية الطرابلسية، وما حَدَث في غدامس خير شاهدٍ على مدى سطوة فرنسا في إدارتها العسكرية لإقليم فزان.

* * *

*** المرحلة الثانية ـ مرحلة الصّراع الدبلوماسي والسّياسي 1949 ـ 1952م:**

نصّ قرار الأمم المتحدة رقم 289 الصّادر بتاريخ 21 نوفمبر 1949م، على استقلال ليبيا في موعدٍ أقصاه يناير 1952م، وتشكيل مجلس استشاري لمساعدة الليبيين على نقل السُّلطة من دولتي الإدارة فرنسا وبريطانيا إلى حكومة ليبية دستورية، ووقع الاختيار على السيد أدريان بلت ليكون مندوباً للجمعية العامة للأمم المتحدة في ليبيا، كما نصّ القرار على تشكيل مجلس استشاري ضم ست دول: هي: بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، وباكستان، ومصر، وإيطاليا، بالإضافة إلى ممثل عن كل إقليمٍ وممثّل عن الأقليات.

وافق المجلس الاستشاري في 25 أبريل 1950م، على خطة السيد بلت لإقرار الدّستور ونَقْل الحكم إلى حكومة دستورية وتنصّ الخطة على التالي:

1 ـ انتخاب المجالس المحلية في كلّ من برقة وفزان وطرابلس خلال شهر يونيو 1950م.

2 ـ اختيار أعضاء اللجنة التحضيرية للجمعية الوطنية في مدة لا تتجاوز شهر يوليو 1950م، لتحديد الطريقة التي ستُجرى بها انتخابات الجمعية الوطنية وكيفية تأليفها وطريقة وضع الدستور.

3 ـ انتخاب أعضاء الجمعية الوطنية ودعوتها للاجتماع في خريف 1950م.

4 ـ تأليف الجمعية الوطنية لحكومةٍ مؤقتة في أوائل عام 1951م.

5 ـ إعلان استقلال ليبيا وتشكيل حكومة قبل يناير 1952م[1].

بعد إقرار خطة السيد بلت لانتقال السُّلطة من دولتي الإدارة في ليبيا إلى حكومةٍ منتخبة، أدركت الحكومة الفرنسية أن ليبيا في طريقها للاستقلال، ولذلك دعت وزارة الخارجية الفرنسية ممثلها في اللجنة الاستشارية إلى تنفيذ السياسة الفرنسية في هذه المرحلة، وذلك بالعمل على تأخير وتعطيل تنفيذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 289، وحيلولة دون أن تصبح ليبيا دولة موحّدة أو مركزيّة[2].

هذه السياسة التي كان على مندوب فرنسا في اللجنة الاستشارية السيد Georges Balay «بالاي»، وقنصل فرنسا في طرابلس السيد «شمبار» وضعها موضع التنفيذ سوف تصطدم بالتيار الوحدوي في طرابلس وزعيم حزب المؤتمر الوطني بشير السَّعداوي، لهذا سنناقش هنا الآليات التي اتخذتها فرنسا للحيلولة دون تنفيذ خطة أدريان بلت، ووصول الوحدويين إلى اللجنة التحضيرية المزمع تشكيلها من قبل السيد بلت.

ونحاول في هذا الطرح تحليل السياسة الفرنسية حيال العملية الانتقالية التي أقرَّتها الأمم المتحدة ولجنتها الاستشارية، وذلك من خلال رصد المواقف الفرنسية من القوى

(1) هند عادل إسماعيل النعيمي، إدريس السنوسي ودوره في استقلال ليبيا 1890 ـ 1952م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 2009م، ص314 ـ 315.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossiern°13, note n°53, pour le ministre français des Affaires étrangères, le 3 juillet 1950.

المحلية الطرابلسية المعنية في هذا البحث، وعلى اعتبار أن باقي عناصر المكـوّن الليبـي في برقة وفزان، فالأولى خاضعة لإرادة الأمير محمد إدريس السنوسـي، والثانيـة تحـت نفوذ البي حَمَد سيف النصر، والحاكم العسكري الفرنسي في فزان. بينما كان الصراع في طرابلس على أشده بين القوى السياسية من جهة والإدارة البريطانية من جهةٍ أخرى، وفي وسط هذا الزّخم السياسي برزت شخصية بشير السَّعداوي كأحد أهم الفاعلين السياسـيين في طرابلس، بالإضافة إلى الشخصيات القومية والوطنية من أمثال مصطفى ميـزران، وعلـي الفقيه حسن، وآل المنتصر. لكلّ الاعتبارات السابقة نحاول دراسة المواقف الفرنسية من هذه القوى، وحيويّة بشير السَّعداوي في مواجهة التّعنت الفرنسي حيال كثيرٍ من المواقف.

*** موقف فرنسا من القوى الوطنية الطرابلسية في لجنة الواحد والعشرين:**

على الرّغم من موافقة فرنسا على المقترح الباكستاني بتكوين لجنـة تحضـيرية مـن احدى وعشرين عضواً، سبعة أعضاء لكل إقليم وإن لم تصوت عليه، إذ أن ذلـك يعطـي لإقليم فزان ومؤيديه حق النقض وتعطيل القرارات في اللجنة، إلاّ إنها أبـدت قلقهـا مـن عملية اختيار ممثلي اللجنة عن طرابلس في لجنة الواحد والعشرين، فقد أصـرّ السـيد بـالاي في بادئ الأمر على أن تتم عملية تعيين أعضاء طرابلس عبر عملية انتخابية تطبيقـاً لمبـدأ الديمقراطية. غير أن هذا الطرح جوبه بمواجهةٍ شرسة من قبل مندوب باكستان ومصـر. كما أبدت الحكومة البريطانية انزعاجها من الموقف الفرنسي المُصـرّ علـى الانتخابـات، وعلّلت موقفها ذلك من خشيتها من انتخاب القوى الوطنية اليمينية، ممّا يُعقِّـد مهمـة اللجنـة التحضيرية، ولهذا طالبت السيد «بالاي» بالموافقة على مبدأ التعيين[1].

ومع ذلك كانت فرنسا مصممة على عدم إعطاء الموافقة لوفد فزان بالتصويت على القائمة الطرابلسية حتى تتأكد من تغيير القائمة، خاصة بعد خيبة الأمل في قائمـة المرشـحين

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°22, compte ـ rendu du Conseil des Nations Unies pour la Libye, séance du 4 mai 1950.

التي تقدّم بها السّعداوي، إذ كانت تضم خمسة أعضاء من حزبه، بالإضافة إلى السيد علي رجب، وممثل للجالية الإيطالية[1]، ما دَفَع الحكومة البريطانية إلى مطالبة السَّعداوي بتعديل القائمة، وبعد مشاوراتٍ مع الحكومة الفرنسية وافقت الأخيرة على المرشحين السّبعة، والتي لم تكن تضم عناصر قومية ولا وحدوية.

شهدت هذه المرحلة زيادة نفوذ زعيم حزب المؤتمر الوطني بشير السَّعداوي على السَّاحة السياسية الطرابلسية، خاصّةً بعد اعتذار زعيم حزب الكتلة الوطنية علي الفقيه حسن عن المشاركة في تقديم قائمة بمرشحين لشغل مقاعد ممثلي طرابلس في اللجنة التحضيرية، وبدعم مندوبي مصر وباكستان في اللجنة الاستشارية لبشير السَّعداوي، أدركت الحكومة الإنجليزية خطورة هذا التحالف الذي بدأ يتشكّل على الساحة السياسية الطرابلسية على سياستها، ولهذا طلبت من السيد بلت الابقاء على المفتي في قائمة ممثلي طرابلس في لجنة الواحد والعشرين للحدّ من نفوذ بشير السَّعداوي كما وصفته الوثيقة بأنه (منخرط جداً في الولاء المصري)[2].

وفي 21 يونيو 1950م[3]، بعثت الإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس قائمة ممثلي طرابلس في لجنة الواحد والعشرين بعد إجراء تعديلاتٍ عليها إلى السيد أدريان بلت[4]،

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, lettre de M. Chambard, consul de France à Tripoli à M. Schuman, ministre des Affaires étrangères «à propos de la représentation tripolitaine au Comité des 21», le 12 Juillet 1950.

(2) Ibid.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, lettre n°130, datant de 21 juillet 1950, de l'Administrateur en chef britannique en Tripolitaine, au M. Adrian Pelt, relative à la représentation tripolitaine à la Commission préparatoire.

(4) ممثلي طرابلس في لجنة 21 هم: محمد أبو الاسعاد العالم، والشيخ أبو الربيع الباروني، وسالم القاضي، وإبراهيم بن شعبان، وسالم المريّض، وأحمد عون سوف، وعلي رجب، بالإضافة إلى ممثل الأقليات.

والملاحظة على القائمة حسب تصنيف وتحليل قنصل فرنسا في طرابلس أنها لا تشمل العناصر القومية الطرابلسية[1]، وهذا ما دفع فرنسا إلى القبول بها، وكذلك بوادر الاتفاق مع الأمير محمد إدريس السنوسي على التعاون بين ممثلي فزان وبرقة في لجنة الواحد والعشرين، بعد الاجتماع الذي ضم السيد «بالاي» والأمير محمد إدريس السنوسي في يونيو 1950م[2]. بالإضافة إلى اتفاق الأمير محمد إدريس وبشير السَّعداوي في 18 يوليو 1950م، على تأسيس حكومة في طرابلس مثل برقة، وهو الأمر الذي شجّعته فرنسا وحثّت الحكومة البريطانية على متابعة هذه التفاهمات[3].

قدَّم السّيد «بالاي» إلى اللجنة الوزارية في اجتماع 27 يوليو 1950م التوضيحات التي طُلبت منه إلى السيد شومان Schuman وزير الخارجية والسيد Naegelen، حاكم جنوب الجزائر، ومُمثل وزير الداخلية، والعقيد Sarazac الحاكم العسكري لفزان. واتفق الجميع على أنه ينبغي لفرنسا أن تحافظ على جميع إنجازاتها في فزان، وأن أفضل

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, Lettre de M. Chambard, consul de France à Tripoli à M. Schuman, ministre des Affaires étrangères «à propos de la représentation tripolitaine au Comité des 21», le 12 Juillet 1950.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, le 18 juillet 1950, un entretien eut lieu à Benghazi entre l'Emir et Béchir el_Sadaoui. Ce dernier accepta que le futur État soit une fédération sous le sceptre d'Idriss El_Senoussi et un traité fut conclu avec la Grande_Bretagne, confiant à cette puissance la défense du Territoire. Télégramme de M. Chambard consul de France à Tripoli au Département français des Affaires étrangères, le 23 juillet 1950.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, télégramme n°153, de M. Georges Balay représentant du Gouvernement français au Conseil des Dix, au Ministre des Affaires étrangères, le 4 aout 1950.

طريقة لتحقيق ذلك هو الاتفاق مع الأمير محمد إدريس السنوسي المرشّح الوحيد لتاج ليبيا[1]، لهذا أَعطت الحكومة الفرنسية موافقتها لأعضاء فزّان بالسفر والموافقة على ممثلي طرابلس في لجنة الواحد والعشرين، وهو ما حدث يوم 27 يوليو، وكانت أول جلسةٍ للجنة في «الجراند هوتيل» بطرابلس، والتي تم فيها اختيار أبو الأسعاد العالم رئيساً، وناقشت اللجنة التحضيرية في اجتماعها عدد من الموضوعات المتعلقة بطريقة تأليف الجمعية الوطنية، هل ستكون على أساس تمثيلي بنسبة عدد السكان؟ أو على أساس النِّسْبَة؟، أي التّساوي بين الأقاليم الثلاثة في عدد الأعضاء الذين ستتكوّن منهم الجمعية الوطنية، وطريقة الاختيار كيف ستكون؟ بالتعيين أم الانتخاب؟ وإذا تم اختيار مبدأ التعيين من سيكون له حق التعيين، وهل ستُمثّل الأقليات في الجمعية الوطنية؟ وأخيراً تاريخ ومكان انعقاد الجمعية الوطنية.

*** موقف فرنسا من الأحزاب والقوى الوطنية في الجمعية الوطنية:**

في 7 أغسطس 1950م، وافقت اللجنة على إنشاء جمعية وطنية تتكوّن من ستين عضواً، وأقرّت مبدأ التساوي في التمثيل بين الأقاليم الثلاثة. وأثارت هذه المسألة نقاشاً وجدلاً كبيراً بين أعضاء اللجنة التحضيرية، إذ أن ممثلي برقة والسيد بشير السَّعداوي والمندوب الدولي يؤيدون مبدأ الاختيار لتعيين أعضاء الجمعية. بينما عارض وفد فزان هذا الطّرح وأصرَّ على إجراء انتخاب ممثلي طرابلس، واحتكم الطّرفان للتصويت فكانت النتيجة أربعة عشر صوتاً مؤيداً لمبدأ التعيين ضد سبع أصواتٍ للانتخاب[2].

وتشير الوثائق الفرنسية أن رفض بشير السَّعداوي للانتخابات راجع لسببين: الأول

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, note n°135, pour M. Schuman ministre français des Affaires étrangères, sur la conférence interministérielle tenue le 27 juillet 1950 sur la Libye, le 31 juillet 1950.

(2) ارويعي قناوي، بشير السَّعداوي ودوه في الحركة الوطنية الليبية، مرجع سبق ذكره، ص362 ـ 361.

هو صعوبة تنظيم الانتخابات، ناهيك عن الوقت الذي سوف تستغرقه عملية إجراء الانتخابات. ثانياً: ضعف حزبه وعدم قدرته على حسم الانتخابات والحصول على نسبة مريحة في اللجنة التأسيسية، بالإضافة إلى مشكلة الأقليات التي سوف تشارك في هذه الانتخابات[1].

إلاّ أن إصرار الحكومة الفرنسية كان له بعدٌ آخر، ألاَ وهو تنفيذ السياسة الفرنسية الرامية إلى تعطيل حصول ليبيا على استقلالها حتى تحصل من الدّول الكبرى والقوى المحلية على إقرارٍ صريحٍ بمصالحها في إقليم فزّان، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى العمل على عدم تمكين أنصار الوحدة والفكر القومي من تمثيل طرابلس في اللجنة التأسيسية.

كما أن المفاوضات التي يقودها بشير السَّعداوي مع الأمير محمد إدريس السّنوسي في 18 يوليو 1950م، والذي وافق من حيث المبدأ على قبول الفيدرالية والإمارة السنوسية، لم تُحرز أي تقدمٍ ملموس بسبب رفض بعض القوى المحلية هذا الطرح، ولذلك نُصح السعداوي بإجراء مصالحة مع آل المنتصر، سيما إذا عرفنا بأن مختار المنتصر وَصَل إلى القاهرة ليخوض حملة إعلامية ضد السَّعداوي، ويشير في لقائاته الصحفية بأن الأخير لا يُمثّل كلّ القوى في طرابلس[2]. وزد على ذلك أن اللجنة الطرابلسية بعثت بمذكرةٍ للجامعة العربية تندّد بقبول السَّعداوي للفيدرالية، وممّا زاد من ضعف موقف السَّعداوي

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°13, aide ـ Mémoire, direction d'Afrique ـ Levant, le 24 juillet 1950.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°13, lettre du Maurice Couve de Merville ambassadeur de France en Egypte, au Ministre des Affaires étrangères, le séjour de Moukhtar Montasser au Caire, le 20 juin 1950.

أن موقفه الأخير لم يَلْق ترحيب واستحسان الجامعة العربية ومصر[1]. ومن الواضح أن الحكومة الفرنسية كانت تخشى بأن هذه التنازلات التي قدَّمها السَّعداوي ما هي إلاّ محاولةٌ لتعيين ممثلي طرابلس في اللجنة التحضيرية وبسط نفوذه عليهم، لذلك يجب أخذ هذه الخطوة السَّعداوية تجاه الأمير بحذر[2].

لذلك عمل بشير السعداوي خلال إقامته في القاهرة على التواصل مع السفير الفرنسي هناك لتوضيح وجهة نظره أكثر، فعقد معه اجتماعاً في 22 أغسطس 1950م، وخلال هذا الاجتماع أكّد السَّعداوي للحكومة الفرنسية رغبته في إقامة النظام الفيدرالي في ليبيا باعتباره هو الأنسب، وأشار أن المَلكية ممكنة، ولكن النّظام الجمهوري تحت رئاسة الأمير هي الأفضل.

لم يكتفِ السَّعداوي بهذا التوضيح بل أبدى رغبته في التّوصل إلى تفاهمٍ مع فرنسا، والتي سبق وأن أعرب عنها في سياقٍ سابقٍ من المحادثات، وأنّه على استعدادٍ لتزويد فرنسا بالضمانات كافة التي قد ترغب فيها للحفاظ على مصالحها في فزان، شريطة أن تثق به فرنسا.

اقترح السَّعداوي الاتصال بالسيد «بالاي» فور عودته إلى طرابلس، وسيكون من السهل الاتفاق على برنامج مشترك يعتني بعد ذلك بإحلال الأمير، والبي حَمد سيف النّصر في السُّلطة، ويمكن التفكير في محادثاتٍ تُجرى في بنغازي لهذا الغرض.

علّل السفير الفرنسي في القاهرة «موريس كوف دومورفيل» عَرْض السَّعداوي على فرنسا بسبب عدم وضوحه مع البريطانيين في طرابلس وسوء أحواله مع الجامعة العربية، وأن هدفه من ذلك الحصول على دعم فرنسا أمام تراجع الدعم البريطاني له، ولذلك فإن

(1) ارويعي قناوي، المرجع نفسه، ص361.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°13, télégramme n°125, de M. Baudet à Londres, le 29 juillet 1950, le Ministre des Affaires étrangères Paris.

عرضه لا يزال بعيداً عن الاهتمام، بيد أن الدور الذي طالب القيام به في تأسيس الدولة الليبية يجب أن نأخذه على محمل الجد[1]، ولذلك لم تمانع الحكومة الفرنسية في اللّقاء الذي عقده مع محمد بي سيف النصر في القاهرة في 27 أغسطس، بخصوص محاولة التوفيق بين البي حَمَد والأمير محمد إدريس والاجتماع في بنغازي بهذا الخصوص، حسب ما عرضه على السفير الفرنسي «كوف دو مورفيل» في 25 أغسطس، بل تعتقد الإدارة الفرنسية بأن هذا العمل ممكن أن يكون مفيداً للسياسة الفرنسية في الظروف الراهنة[2].

في 30 أغسطس 1950م وَصَل إلى طرابلس بشير بي السَّعداوي ولم يكن في استقباله إلاّ بعض الشباب من حزب المؤتمر، ولم يكن من بينهم نائبه المفتي محمد أبو الأسعاد العالم، وأَعْلن في اليوم ذاته أن حضوره كان بسبب المشاكل التي تواجه لجنة الواحد والعشرين في تنصيب ممثلين عن طرابلس.

حاول السَّعداوي أن يُقنع ممثلي فزان بتغيير وجهة نظرهم حيال مسألة الانتخاب والقبول بمبدأ التعيين، وكُلّلت مساعيه بإقناع السيد المهدي قاضي غدامس بالموافقة على التصويت على مبدأ التعيين، الأمر الذي أزعج السُّلطات الفرنسية واعتبرته خرقاً لسياستها تجاه المسألة الليبية[3].

على الرّغم من هذا الاختراق الذي حقّقه بشير السَّعداوي، إلاَّ أن الوفد الفزاني

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°14, lettre n°76, de M. Couve de Murville, à M. Georges Balay à Tripoli, le 25 aout 1950.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossiern°14, télégramme n°85, de la Ambassade du France au Caire au Ministre des Affaires étrangères, le 27 aout 1950.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°14, télégrammes n°126, au M. Chambard Consul du France à Tripoli au Ministres des Affaires étrangères, le 3 septembre 1950.

والبي حَمَد سيف النصر وبدعم الحكومة الفرنسية أصرَّ على عدم الموافقة على مبدأ التعيين لممثلي طرابلس. وأثارت اعتراضات وفد فزان في اللجنة التحضيرية انتقاد السيد أدريان بلت، ومندوب مصر كمال سليم في مجلس العشرة الذي اتّهم فرنسا صراحةً بأن التعليمات التي أعطاها السيد حَمَد سيف النصر هي في الواقع أوامر فرنسية لعرقلة استقلال ليبيا، وأن على السيد بلت إن أراد إيجاد حلاً للمشكلة عليه أن يذهب إلى باريس بدلاً من سبها[1].

ومع ذلك سافر السيد بلت إلى سبها في 12 سبتمبر 1950م، إلاَّ أن مهمته باءت بالفشل، ممَّا أزعج السُّلطات البريطانية التي عبّرت عن قلقها من موقف البي سيف النصر بخصوص انتخاب أعضاء طرابلس في اللجنة التحضيرية، وطالبت من الحكومة الفرنسية الضغط عليه لتغيير وجة نظره، والمسوّغ الذي ساقته الحكومة البريطانية في طلبها كان لخشيتها أن يؤدي موقف وفد فزان إلى ردود فعلٍ غاضبة في طرابلس، وقيام مظاهراتٍ ضد فرنسا بقيادة المفتي. ومن جهةٍ أخرى كُلّلت مساعي الأمير محمد إدريس السنوسي مع البي حَمَد سيف النصر بالنجاح في إقناعه بتغيير وجهة نظره هو والإدارة الفرنسية، التي تحصّلت من الأمير على ضماناتٍ حقيقية لمصالحها في فزان. ولهذا وافق وفد فزّان في 12 أكتوبر 1950م على إقرار مبدأ تعيين أعضاء الجمعية الوطنية بدلاً من انتخابهم. وفي جلسة 23 أكتوبر تقرّر أن يُقدِّم أمير برقة قائمة بممثلي برقة، والبي حَمَد سيف النصر قائمة فزان، وكُلِّف مفتي طرابلس باختيار عشرين شخصاً من بين الأحزاب والقوى السياسية الطرابلسية لتمثيل طرابلس.

شَرَع مفتي طرابلس في مشاوراته مع الأحزاب السياسية الطرابلسية، وتم اختيار تسعة أعضاء من حزب المؤتمر الوطني، وخمسة من حزب الاستقلال، وستة مستقلين،

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°14, lettre n°183, de M. Chambard Consul, de France à Tripoli, au Département français des Affaires étrangères, le 20 septembre 1950.

في حين رفض حزب الكتلة الوطنية المشاركة في القائمة، وعَبَّرت الحكومة الفرنسية عن خشيتها من وصول العناصر القومية والوحدوية إلى الجمعية الوطنية، فبادر الحاكم العسكري البريطاني في طرابلس بإرسال رسالة تطمين إلى السيد «بالاي» في 26 أكتوبر، بأن المؤتمر الوطني لم يأخذ الأغلبية في القائمة، وتم اختيار الأعضاء الأكثر اعتدالاً، تغلّبنا على كثيرٍ من المشاكل للحصول على خمسة مقاعد لحزب الاستقلال ولحفظ التوازن بين الحزبين الكبيرين في طرابلس، ويَعْتقد السيد «بلاكلي» Blackley أن السيد بشير السَّعداوي سوف يرفض قائمة المفتي على اعتبار أن حزب المؤتمر الوطني لديه الأغلبية في طرابلس، في حين وافق حزب الاستقلال على ترشيح المفتي لخمسة من أعضائه، وتعهّد السيد «بلاكلي» إذا وافق وفد فزّان على قائمة المفتي فإنه يضمن تصويت وفد برقة، وعلى الأقل ثلاثة أعضاء من ممثلي طرابلس على القائمة الطرابلسية[1].

لم يكن أمام الإدارة الفرنسية أمام تعهّد الحكومة البريطانية بالاتجاهات السياسية لقائمة المفتي، إلاّ القبول بها ولذلك في 30 أكتوبر 1950م، واعتمدت لجنة الواحد والعشرين القائمة الطرابلسية بستة أصوات من برقة، وسبعة من فزان، وصوتان من طرابلس.

لم تكن قائمة المفتي محل ترحيبٍ من بعض القوى السياسية في طرابلس، فقد عارضتها اللجنة الطرابلسية في القاهرة، والكتلة الوطنية الحرة، وقالتا إنهما سوف تقومان بمظاهراتٍ ضدّها، في حين أبدى بشير السَّعداوي استعداده للتعاون والعمل مع الجمعية الوطنية في بداية الأمر ثم عارضها لاحقاً[2].

في 25 نوفمبر 1950م عَقَدت الجمعية الوطنية أول اجتماعٍ لها، وتمّ انتخاب مفتي

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°15, télégramme n°60, de M. Chambard consul de France à Tripoli au Ministre des Affaires étrangères, le 26 octobre 1950.

(2) ارويعي قناوي، المرجع السابق، ص365.

طرابلس محمد أبو الأسعاد العالم رئيساً لها، وفي الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ 2 ديسمبر 1950م، أقرّت الجمعية الوطنية شكل الدولة والحكم، فكان نصّ القرار كالآتي:

أولاً: أن تكون ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة، وأن يكون شكل الحكم اتحادياً وفدرالياً عادلاً.

ثانياً: أن تكون الحكومة مَلكيّة دستوريّة ديمقراطية نيابية تحت تاج الملك محمد إدريس السنوسي.

ثالثاً: أن تَرْفع الجمعية إلى جلالة الملك قرارها التاريخي وتعتبره مَلكاً شرعياً على ليبيا منذ الآن.

وعبّرت الحكومة الفرنسية عن ارتياحها لمخرجات الجمعية الوطنية، وذلك عَبْرَ رسالةٍ بعثت بها إلى رئيس الجمعية المفتي محمد أبو الأسعاد العالم، أبدت فيها أطيب التّمنيات لحسن سَيْر العمل في الجمعية الوطنية الذي يجب أن يضمن الرخاء والرفاه لليبيا[1].

وفي 17 سبتمبر 1950م وصلت الجمعية الوطنية بكامل أعضائها إلى بنغازي وقدّمت البيعة للأمير محمد إدريس السنوسي، وتعهّدوا بالولاء التّام له واستقلال بلدهم، وحَضَر سُموّه مراسم الاحتفال الذي أُقيم بقصر المنار، ولم يقم بالاعتراض على ما أنجزته الجمعية الوطنية من قرارات. وبرجوع السَّعداوي إلى طرابلس فوجئ بردة فعل الطرابلسيين تجاه مسألة الوحدة والفيدرالية؛ حيث خرجت مظاهراتٍ حاشدة للتنديد بالجمعية الوطنية وقرارتها وفرنسا وبريطانيا، وكان السيد بشير السعداوي شخصياً من أبرز القيادات الحزبية والسّياسية التي شجبت قرارات الجمعية؛ حيث أنكر على الجمعية حقّها في وضع الدستور مبرراً ذلك (بعدم صلاحية لجنة الواحد والعشرين في اختيار الأعضاء، وأنها لم تراعِ في

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°15, Message n°190, du Gouvernement de la République Française.

تأليفها رغبة الشعب ولا رغبات أحزابه وهيئاته، واختير أعضاؤها من الأحزاب الاسمية ومنها حزب الاستقلال)[1].

أبدت الحكومة الفرنسية تخوفها من معارضة السَّعداوي والأحزاب السياسية الطرابلسية للنظام الاتحادي ودعم مصر وباكستان والجامعة العربية لهم، وأن الجمعية الوطنية لا تُمثّل جميع السكان، وأنه يجب فتح القضية على أساس نسبة السُّكان، فكان رد السّيد «بالاي» أنه لا سبيل إلى الطعن في الإجراءات التي بموجبها تم تأليف الجمعية الوطنية، لأن الجمعية قد أسّستها لجنة تسلّمت شروطها واختصاصاتها من مجلس الأمم المتحدة في ليبيا، فالجمعية الوطنية ممثلاً حقيقياً للأقاليم الثلاثة[2].

غير أن حدة النّقد الموجّه للجمعية الوطنية قد خَفَت بعد أن اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 17 نوفمبر 1950م بالجمعية الوطنية كجهةٍ مخولةٍ بمهمتها الخاصة بوضع الدستور لليبيا.

أمام هذه الاعتراضات حاول السيد أدريان بلت التوصّل إلى حلٍ وسط يَكْمن في أن مجلس الأمة يتكوّن من غرفتين، الأولى مجلس النواب ويكون على أساس عدد السُّكان، ومجلس الشيوخ يكون بالتساوي بين جميع أعضاء الأقاليم، وبعد نقاشٍ بين أعضاء المجلس استمرّ يومي 12 ـ 13 مارس 1951م، وافق كلّ من مندوب فرنسا، وبريطانيا، وفزان، وبرقة، والولايات المتحدة على مشروع القرار، بينما عارضه مندوب كلّ من مصر، وباكستان، وطرابلس، والأقليات.

وافقت فرنسا على مشروع القرار لإدراكها أن أي عرقلةٍ للتطوّر الدستوري في ليبيا قد يضرّ بمصالحها، خصوصاً في ظلّ المعارضة الطرابلسية الشديدة للجمعية الوطنية ومخرجاتها.

حاول بشير السَّعداوي خلال شهر أغسطس 1951م عرقلة عملية التّطور الدّستوري

(1) ارويعي قناوي، المرجع السابق، ص365 ـ 366.

(2) تقرير الأمم المتحدة عن عمل لجنة الواحد والعشرين، ص25.

في ليبيا، وذلك عبر طلب المساعدة من الجامعة العربية في الثامن من أغسطس بحُجّة أن الجمعية الوطنية لا تُمثّل كل سكان ليبيا وأن مخرجاتها غير قانونية، كما جدَّد مطالبه هذه عبر لقائه وزير الخارجية المصري في الجامعة العربية، وتصريحه للصحف في 15 أغسطس بعدم صلاحية النظام الفيدرالي لحكم ليبيا، ونادى بالوحدة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، عندما طالب الجامعة العربية بتأخير موعد استقلال ليبيا، وعند عودته إلى طرابلس في 29 أغسطس عقد اجتماعاً للمؤتمر الوطني وصرَّح خلاله بأنه طلب من الجامعة العربية ومصر المساعدة على تحقيق الاستقلال الكامل، وذلك بالوحدة الكاملة لليبيا، وتأخير موعد الاستقلال حتى يستطيع إكمال مهمته باستقلال ليبيا الكامل[1].

لم تُعر الحكومة الفرنسية كثير اهتمامٍ لتحركات ومعارضة بشير السَّعداوي للجمعية الوطنية ومخرجاتها وذلك لعدة أسباب:

ـ أولاً: الاتفاق مع الأمير محمد إدريس السنوسي بخصوص المصالح الفرنسية في فزان، واستمرار عائلة سيف النصر في حكم تلك الولاية.

ـ ثانياً: الاتفاق السِّري بين «ماسيجلي ـ يونغر» (Massigli ـ Younger) في 15 يونيو 1951م، والذي تحصّلت فرنسا بموجبه على ضماناتٍ من بريطانيا بمصالحها الاستراتيجية في فزان، مقابل توحيد العملة تحت إدارة بريطانيَّة.

هذه التحالفات الجديدة والتي تضم فرنسا، وبريطانيا، والأمير محمد إدريس السنوسي، والبي حَمَد سيف النصر، هي في الواقع أقوى تأثيراً ونفوذاً من بشير السَّعداوي وحلفائه في الجامعة العربية.

في 7 أكتوبر 1951م وافقت الجمعية الوطنية على كل مواد الدّستور، وفوّضت رئيسها ونائبي رئيسها بإصداره وإرساله رسمياً إلى الأمير محمد إدريس السنوسي. وأثارت هذه

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous ـ série anciennes colonies italiennes 1944 ـ 1952, dossier n°19, lettre n°274 de Consul de France à Tripoli M. Chambard au Ministre des Affaires étrangères, le 29 aout 1951.

الخطوة بعض الأحزاب السياسية في طرابلس، خاصّةً الكتلة الوطنية، وحزب المؤتمر الوطني، فخرجت مظاهرات في 19 أكتوبر للتنديد بالنظام الفيدرالي الذي تبنّاه الدستور الجديد، وقاد هذه المظاهرات السيد مصطفى ميزران أمام الفندق الكبير وحملت الشعارات التالية «تسقط الفيدرالية» و«نحن الطرابلسيون نريد ليبيا واحدة» و«وحدة ليبيا أو الحرب حتى الموت».

لم تؤثّر هذه المظاهرات، والتي لم تضم في أحسن أحوالها ـ حسب التقديرات الفرنسية ـ خمسمائة شخص في سير عمل الجمعية الوطنية والتي أنهت أعمالها في جلستها الثالثة والأربعين، يوم 6 نوفمبر 1951م بالموافقة على قانون الانتخابات، وتفويض الرئيس بإصدار القانون وتوقيعه باسم الجمعية الوطنية.

وفي 24 ديسمبر أعلن الملك محمد إدريس السنوسي من قصر المنار في بنغازي استقلال ليبيا وتكليف السيد محمود المنتصر رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية، بعد أن قدَّم استقالته من الحكومةِ المؤقتة.

من خلال دراسة موقف فرنسا من الأحزاب السياسية عامةً وبشير السَّعداوي وحزب المؤتمر خاصةً، نجد أن الحكومة الفرنسية كما سبق وأن ذكرنا لم تتدخّل في الصِّراع بين هذه الأحزاب على النفوذ في طرابلس، ولا في تكوينها على الرّغم من نصيحة قنصلها بتأسيس حزبٍ موالٍ لها، كلّ ما كان يعنيها في هذه المرحلة الحساسة من تأسيس الدولة الليبية هو ضمان نفوذها ومصالحها الاستراتيجية مع القوى المحلية والدولية والأطراف الفاعلة في المشهد الليبي، وكان الأمير إدريس السنوسي أحد أهم هذه الاطراف، ولذلك عَقَدَت معه التفاهمات في كل المسائل العالقة بين الطرفين، أما بخصوص الأحزاب الطرابلسية، فكان حزب الاستقلال أقرب إلى مصالحها السياسية، بينما كانت دائماً تَنْظُر إلى حزب المؤتمر الوطني بعين الرِّيبة والشك، ولذلك رفضت كل محاولات زعيمه بشير السَّعداوي التّقرب من فرنسا والحصول على دعمها، على الرّغم من اعترافه بمصالحها في فزان وتفهّمه للسياسة الفرنسية هناك، وهذا ما عبّر عنه في لقائه مع السّيد «موريس

كوف دو مورفيل» أو السيد «بالاي» فيما بعد، غير أن النفوذ المصري وعزّام باشا الواضح على سياسات السَّعداوي والتي تراوحت بين القبول والرّفض للطرح الفيدرالي، وحسب مصالح هذه الدّول حالت دون وصول هذه المفاوضات إلى تحالفٍ حقيقي بين الطرفين، وكلّ ما أبدته فرنسا تجاه الرجل هو محاولة الاستفادة منه في بعض الأوقات للضغط على الأطراف الطرابلسية لتمرير وجهة نظرها حيال التطور الدستوري في ليبيا.

غير أن خذلان السَّعداوي من قبل بريطانيا في الوصول إلى منصب رئيس الحكومة أو حاكم طرابلس، دَفَع الأخير إلى الاتجاه أقصى اليمين وتبنّي وجهة نظر مندوب مصر وباكستان في اللجنة الاستشارية وعزّام باشا بالطعن في إجراءات الجمعية الوطنية، بل المطالبة حتى بتأخير موعد الاستقلال، غير أن إقرار قانون الانتخابات من قبل الجمعية الوطنية وتحديد موعدٍ لها رأى فيها بشير السَّعداوي فرصة أخرى للوصول إلى سدة السُّلطة وصنع القرار، ولهذا بدأ التّحرك للبحث عن حلفاءٍ جُدد على السّاحة المحلية أو دعم دولي جديد له، وهذا ما سوف نتعرّف عليه في موقف فرنسا من الانتخابات البرلمانية سنة 1952م.

* * *

*** المرحلة الثّالثة ـ القوى الوطنية وصراع السُّلطة والنّظرة الفرنسية في الانتخابات البرلمانية لعام 1952م:**

تُعدُّ التجربة الليبية في المجال الانتخابي بسيطة ومحدودة جداً بالنظر لاستحقاق عام 1952م، والذي يُعدُّ الأول من نوعه في تاريخ البلاد، إلاَّ أنه في الحقيقة شهدت طرابلس زمن الإدارة الإنجليزية بعضاً من الجانب الانتخابي، نذكر منها على سبيل المثال الانتخابات البلدية لعام 1948م، والتي شارك فيها الطرابلسيون وكذلك أفراد الجاليات الإيطالية، واليهودية، والمالطية، وكان أكبر الفائزين هو الطاهر بي القرمانلي بـ (11556) صوتاً وهو مُقرَّب من الإيطاليين؛ حيث قامت مسيراتٍ أمام منزله في «بورتا بينيتو» (Porta Benito) تهتف عاشت إيطاليا، أمّا السيد علي حسن الفقيه فقد تحصّل على ما نسبته (6298) من الأصوات، وهو الذي أثار قلق الفرنسيين بسبب مواقفه العروبية ومناداته بالوحدة للأراضي

الليبية، وكذلك مواقفه تجاه الإنجليز. أما باقي المُرشّحين فقد رأت فيهم فرنسا أنهم لا يُشكلون ذلك الخطر، خاصّة وأن جُلّهم ليست لديهم انتماءاتٍ حزبية، ويُكنّون الود تجاه إيطاليا. أما فيما يخص منصب عميد بلدية طرابلس فقد كانت فرنسا تميل إلى السيد الطاهر القرمانلي بسبب توجهاته الإيطالية[1]، وبذلك يمكننا القول إن فرنسا وإيطاليا تربطهما تحالفاتٍ كبيرة، ولذا نرى موقف فرنسا الإيجابي في هذا الاتجاه.

أمّا برقة فقد شهدت بعد سنواتٍ طوال أول انتخاباتٍ في عهد الإمارة في 17 أبريل 1950م، وفقاً للمادّة الثامنة من الدّستور البرقاوي على عدد تسع مناطق انتخابية موزّعة على المدن التالية: بنغازي، المرج، درنة، والقُرى وغيرها 41، تم فوز 50 مرشحاً، فيما عُيِّن أحد عشر عضواً من قِبل الأمير وفقاً للمادة 43 من الدستور، وتم افتتاح المجلس يوم 12 يونيو 1950م، وفيما يتعلّق بفزّان الفرنسية فلم نجد أي أثرٍ لانتخابات، بل كانت اختيارات ومن بينها اختيار البي حَمَد لمستشاريه في مجلسه الخاص بالنظام السياسي الموضوع من قبل الفرنسيين في 12 يناير 1950م، وفقاً للمادّة الأولى من هذا النظام المتعلّقة بالدستور والسُّلطات[2]، وكذلك وفقاً لدستور فزّان، الباب الثاني، السُّلطة التنفيذية المادّة 14[3].

كما لاحظنا ممّا تم تدوينه حول فرنسا والحركة الوطنية خاصّةً المنضويّة تحت قيادة البيك بشير السَّعداوي من عداء، ولكن بعد اقتراب إجراء الانتخابات، أضحى كِلاَ

(1) Archives du MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°6 janvier_avril 1949, document secret sur les élections municipales de Tripoli, le 29/ 1/ 1949 de M. Chambard consul de Franc à Tripoli à M. R. Schuman ministre des Affaires Etrangères, pp1_3.

(2) Archives de ANOM Aix_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°979, régime transitoire du Fezzan, p1_3.

(3) Archives de ANOM Aix_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°979, la constitution du Fezzan, p1_4.

الطرفين يحاول أن يكون له دورٌ كبير في المرحلة القادمة، وجاءت هذه الانتخابات وفقاً لمقترحٍ قدّمته الدول الإثنى عشر إلى لجنة السياسة في الأمم المتحدة في 23 يناير كانون الثاني، واعتُمد ذلك بالقرار رقم 515[1] في الأول من فبراير 1952م، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السّادسة التي عُقدت في باريس، وأشارت الفقرة الثانية من القرار، إلى أن انتخاباتٍ وطنيّة حُرّة وديمقراطية، ستجري وفقاً لدستور المملكة الليبية المتحدة. وتهدف هذه الانتخابات لانتخاب برلمانٍ جديد، وذلك بعد أن تكون الجمعية الوطنية التأسيسية قد أنهت مهامها.

لقد كانت اللُّعبة الانتخابية الأكبر لهذه الانتخابات على المقاعد البرلمانية في إقليم طرابلس، خاصّة العاصمة، لما لهذا الإقليم من خصوصيّةٍ تُميّزه عن كل من فزان وبرقة، إقليمي الزّعيم الواحد، فقد كان التنافس الحزبي والشّخصي على أشدّه بين السّاسة الطرابلسيين، ومن هذا المنطلق كان لهذا البرلمان 35[2] مقعداً لطرابلس، 15 مقعداً لبرقة، و5 مقاعد لفزان، تبعاً لعدد سكان كل إقليم، وفي حين أن الجمعية الوطنية أُنشئت على أساس التكافؤ كما كان الحال بالنسبة للجنة الواحد والعشرين، والجمعية الوطنية التأسيسية. عن طريق الانتخاب، فيما يختار الملك الأربعة وعشرين عضواً لمجلس الشيوخ، ثمانية عن كل إقليم[3].

---

(1) انظر: موقع الأمم المتحدة قرار رقم 515 المتعلق بالقضية الليبية في دورتها السادسة المنعقدة في باريس نوفمبر 1951م ـ فبراير 1952م، تمّت المشاهدة 19 ـ 8 ـ 2017م.

«http: // www. un. org/ fr/ documents/ view_doc. asp?symbol=A/ RES/ 515(VI)»

(2) إبراهيم عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، الطبعة الأولى، دار برنيق للنشر، 2008م، ص259.

(3) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, document secret n°23/ AL, 28 mars 1953, de Ministère des Affaires Etrangères direction des Affaires politique à le Ministère de l'intérieur sous_direction la Libye, note relative à la Libye p40.

وفي الحقيقة أن هذه المرحلة شهدت مجموعتيْن متنافستيْن، الأولى بقيادة بشير السَّعداوي المعارض الأول ـ إن صحّ التعبير ـ لسياسات الدول الاستعمارية، والداعي إلى الوحدة الليبية ورافع شعار العروبة التي تقوده مصر، والثانية متمثلة في الحكومة المؤقتة بقيادة محمود المنتصر الذي تربطه علاقة قوية بالقوى الكبرى، خاصّة بريطانيا وإيطاليا، وفي حقيقة الأمر يُعدُّ محمود المنتصر عَرَّاب الاتفاقيات مع هذه الدّول، ولا نَعْلَم، فربما تحصّل على وعودٍ مقابل ذلك أم لا؟ وإنصافاً له فإنه رفض طلبات فرنسا لتوقيع اتفاقياتٍ أخرى، أو تمديد مُدّة الموقّعة، كما أنّه من مؤيدي الفيدرالية، إضافةً إلى ذلك من خلال حزب الاستقلال برئاسة عمه سالم المنتصر؛ حيث تمكن الأخير من إدارة الأمور خاصّةً وأن ليبيا مجتمع قبلي؛ إذ يصف لنا السفير الفرنسي السيد روجيه غاروو (Roger Garraeu) هذا التقسيم، وموازين القوى في طرابلس على النحو التالي:

1 ـ المجموعة الأولى تضم التحالفات التالية: قبائل سرت (ورفلة، قذاذفة، أولاد سليمان) ومجموعة الزنتان (الرجبان، الحرابة، الحوامد، الصيعان) أصدقاء سيف النصر وتحت سيطرة حزب بشير السَّعداوي.

2 ـ المجموعة الثانية وتضم التحالفات التالية: (أولاد بوسيف، المشاشية، المقارحة) معاديين لسيف النصر وتحت سيطرة حزب الاستقلال برئاسة سالم المنتصر، عم رئيس الوزراء من قبيلة مصراتة[1].

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, Répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n° 225, le 19 avril 1952, M. Garreau ambassadeur de France à Tripoli, à M. R. Schuman, ministre des Affaires étrangères, p. 5.

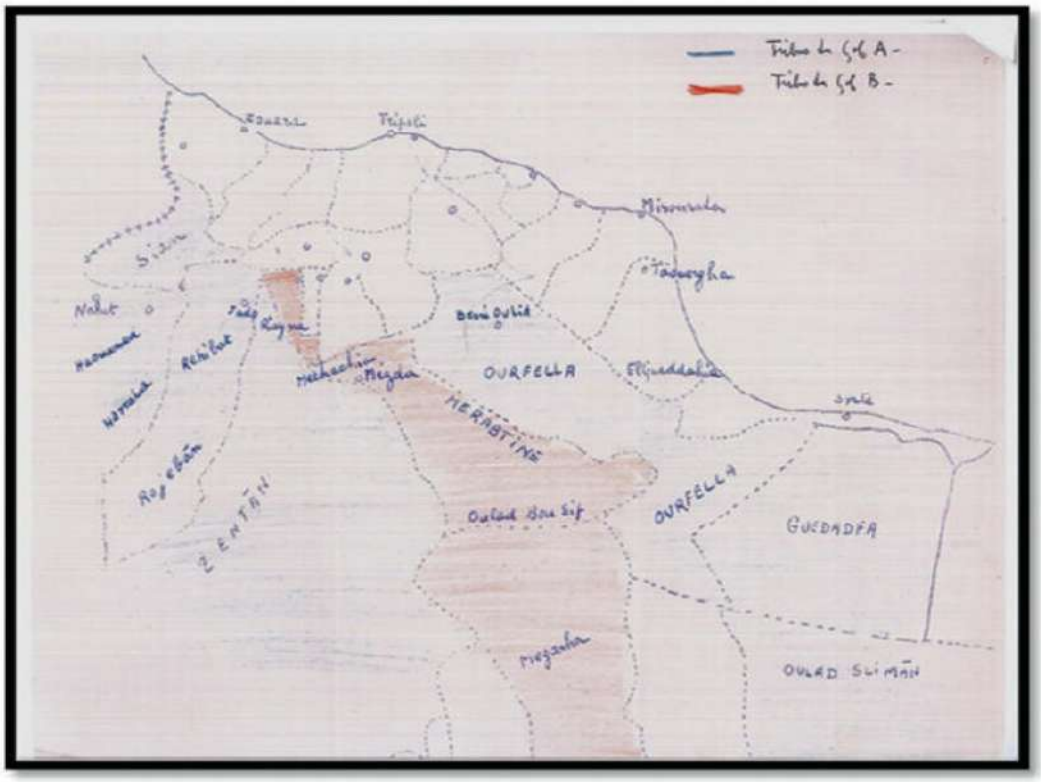

التقسيم القبلي (الصَّف) حسب السّفير الفرنسي السيد روجيه غاروو[1]

هذا التقسيم إن دلّ على شيء فإنما على حدّة المنافسة، واستعداد كل تشكيلٍ سياسي على خوض الانتخابات البرلمانية الأولى من نوعها في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر.

ولكن بما أن موضوع بحثنا عن الحركة الوطنية وفرنسا، فماهي خطوات كلّ منهما في هذه الانتخابات؟ الحقيقة لم يتأخر البي السَّعداوي في محاولة التّقرّب من الفرنسيين بعد سنواتٍ من العداء والكراهية بينهما؛ حيث لم يلبث أن اتّهم البي فرنسا وسياساتها الاستعمارية في ليبيا، وبالفعل كان أول لقاءٍ بينه وبين الفرنسيين في 10 يناير 1951م؛

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, Répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n° 225, le 19 avril 1952, M. Garreau ambassadeur de France à Tripoli, à M. R. Schuman, ministre des Affaires étrangères, op. cit. p6.

حيث استعرض السَّعداوي الوضع مع الفرنسيين وأنه لا يُحبّذ الفيدرالية، ولكن حسب قوله يمكن إعطاء استقلالٍ أكبر للإدارات، وأبلغهم أن غالبية الطرابلسيين ضد الفيدرالية، وأن البرلمان يجب أن يكون حسب عدد السُّكان، فردَّ عليه السيد «بالاي» أن ذلك سيلاقي معارضةً شديدة من البرقاويين والفزانيين، «وأنني أرى السَّعداوي واثق من نفسه كثيراً، وأن الفيدرالية كلمة مصطنعة، وأعتقد أنّنا ليس لدينا أية مصلحة من مواصلة الحوار معه في هذه اللحظة، وهو الخاسر الأكبر»[1].

وفي هذا الصَّدد وعن طريق الإنجليز خلال مقابلتهم مع الأمير الذي حذرهم في وقتٍ سابق من السَّعداوي؛ حيث قال الأمير للسيد روبيرت بلاكلي (Robert Blackly) المقيم البريطاني بطرابلس «أن السيد السَّعداوي له مائة وجهٍ ومائة حقيقة وحقيقة»[2]. في الواقع هنا تتضح الحنكة السياسية للأمير في إقناع الآخر، خاصّة من خلال هذه العبارة للسيد بلاكلي بخصوص السَّعداوي والانتخابات «وهو يَعْلَمُ جيداً أنَّنا الأكثر حظاً للفوز بالانتخابات في جميع الأقاليم الثلاثة، فحزب المؤتمر له مطلبٌ واحد فقط وهو الوحدة وحكومة واحدة»[3].

إلاّ أنّه في 10 يونيو 1951م، التقى السَّعداوي بالمسؤولين الفرنسيين؛ حيث ذكر البي السَّعداوي للسيد «بالاي» المندوب الفرنسي في مجلس العشرة للأمم المتحدة في

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n°23J, le 10 janvier 1951, conversation M. Chambard avec Béchir Sadaoui, p1 ـ 3.

(2) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret 30 mai 1951, conversation entre M. Blackly et M. Balay p1 ـ 2.

(3) Ibid. p2.

ليبيا «لقد أخطأت بوضع الثقة في السيد السنوسي، فهو إنسانٌ بدون شخصية، استخدمه الإنجليز من أجل مصالحهم لتبنِّي سياسةً أخرى، لا يمكنني أن أسمح لحكومة المنتصر بتولّي زمام الأمور في البلاد، وهي لا تملك الحاضنة الشعبية. . . وهو متأسف على عدم دعم فرنسا له في المحافل الدولية. . . ولكن نحن لم نخسر شيءٍ بعد»[1]. ولم تكن المقابلة عند هذا الحد، فقد عَرَض السَّعداوي خطة عملٍ انتخابي على الفرنسيين (حيث اقترح عليهم أن يتم ترشيح الأخ الأصغر لبي فزان عمر سيف النصر المناهض للإنجليز للترشح في منطقة سرت لإحباط السياسة الإنجليزية من جهة، والحصول على دعم قبائل سرت مثل، ورفلة، والقذاذفة، وأولاد سليمان المطالبين بالانضمام إلى فزان، وسيحظون بدعمي، وأعتقد أننا يمكننا العمل معاً، وأنهى عرضه بقوله أنه ينتظر أن تَعْرِضوا هذا على حكومتكم، وفي انتظار ردكم)[2].

وفي الحقيقة تُعدُّ هذه الخطوة للبي السَّعداوي متأخرة جداً، خصوصاً فيما يتعلّق بحصوله على موطأ قدمٍ في حكم ليبيا، لأنه بكل بساطة أخذته العاطفة أكثر من الدهاء والمكر السياسيين، كما هو الحال عند محمود المنتصر. أراد بهذا التحالف أن تضغط فرنسا على حلفائها في الشأن الليبي من أجل أن يكون له دورٌ سياسي كبير، ولكن انعدام الثقة تجاه السَّعداوي ونجاح الخصوم في تشويهه، هذا ما وضعه في هذا الموقف، وفي واقع الأمر لم نجد أي وثيقة تثبت ردّ فرنسا على مقترح السَّعداوي، وذلك ربما لأن منطقة طرابلس وما يدور فيها من أحداثٍ سياسية لا تهم فرنسا بالدرجة الأولى، خصوصاً وأنها أرادت فقط الحفاظ على فزان، وذلك من خلال اتفاقها سِرِّياً مع بريطانيا (ماسيجلي ـ يونغر Massigli ـ Younger) في 15 يونيو 1951م، والذي أرادت من خلاله فرنسا الحصول على

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n°76/ N, le 10 juin 1951, conversation M. Chambard avec Béchir Sadaoui, p1 ـ 4.

(2) Ibid. p3 ـ 4.

ضماناتِ بقائها في ليبيا، في المقابل تدخل ليبيا في نظام العملة الإنجليزية «الإسترليني»، من وجهة نظرنا أن هذا الاتفاق يُعدُّ بداية النهاية للوجود الفرنسي في ليبيا، لأنه بالتّحكم في مركز الدولة من خلال المال يمكنك إخضاع الكل؛ حيث بدأ السَّاسة الليبيون بالضغط على فرنسا لترك ليبيا، وتم ذلك بعد اتفاقية حُسْن الجوار عام 1956م.

لقد حاول بعض الليبيين التواصل مع الفرنسيين من أجل التحالف معهم من أمثال «طاهر جلغم» من ورفلة الذي ترك حزب الاستقلال، ولكن في كلّ مرة لم نجد أية ردة فعلٍ فرنسية[1]، إضافة إلى الشيخ صالح السّايح من الجعافرة الذي كان على أتم استعداد للخدمة تحت فرنسا[2]، كذلك الشيخ غويزي من المقارحة الذي عَرَض خدماته على الفرنسيين، وكان رد السيد روجيه شمبار (Roger Chambard) أنه ليس من صلاحياته الرّد على طلبه، وأنه يُحذّر منه للعداء الذي يكنّه تجاه سيف النصر، وأن المقارحة من ضمن صَفّ المنتصر ومصراتة[3]. وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما على حدة التنافس ورغبة

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document n°110, (tribu d'Ourfalla) le 15 août 1951, de M. Chambard, consul de France à Tripoli, p. 1

(2) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document n°110, (tribu des Jaafra) le 13 novembre 1951, de M. Chambard, consul de France à Tripoli, p. 1

(3) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 ـ 1986 (Europe, Afrique, Moyen ـ Orient, Asie), sous ـ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document n° 113/ N, visite du cheikh Ghouizi des Megarha au consulat français à Tripoli, p. 1.

كل شخصية بالفوز بمقعدٍ في البرلمان، حتى وإن لزم الأمر إيجاد تحالفاتٍ وعرض خدماتٍ على المستعمر.

أما فيما يخصّ فرنسا وانتخابات الجنوب الليبي، فقد دارت بالشّكل المرسوم له من قبل الفرنسيين؛ حيث لا أخبار وَرَدَت من هناك، فمثلاً إذا أخذنا انتخابات منطقة غات ـ سردال التي أراد الفرنسيين إعداد القوائم والتشاور مع السيد عمار حسيني من الطوارق الذي أعلن أنه لا يريد أن يكون جزءًا من ليبيا، حتى ولو تركته فرنسا، فتم استدعاؤه من قبل الفرنسيين للتشاور يوم 29 يناير 1951م للبث في ما أعلنه الطوارق، وبعد مشاوراتٍ جرت الانتخابات وتقدّم لها عدد 58 مرشحاً، ثم أضيف 5 مرشحين آخرين ليصبح العدد 63، في مناطق سردال، تونين، الفهيوات، البركات، ومن ناحية أخرى، يُفسّر الفرنسيون أن تَرشُّح بعضاً من الطَّوارق الذي وصل إلى 20 مرشحاً هو من أجل قضيتهم الاجتماعية وموقفهم من البيض. وانتهى المطاف بفوز عمار حسيني من الطوارق[1]، فيما فاز المُرشّح الوحيد من «غات ـ سردال» السيد شلقم المدير السابق لمنطقة «غيافه»[2]. ويتّضح لنا على الرغم من أن التقرير أشار إلى عدم تدخل فرنسا في سير الانتخابات، إلاّ أنه من خلال تفاوضها مع حسيني وفوزه في نهاية المطاف يطرح تساؤلاتٍ عدة؟

وبالعودة إلى طرابلس فقد بدأت الانتخابات بين السَّعداوي مرشح المعارضة وقائمته، والمنتصر مُرشح الحكومة، والجدير بالذكر كانت غالبية السُّكان من الأميين، ولذلك قامت

(1) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, rapport du Capitaine Liepvre chef d'annexion d'Ajiir au sujet des opérations préparatoires aux élections dans la zone Ghât_Seredels, 03 février 1952 à Ouargla, p1_4.

(2) Ibid. p2.

اللجنة المُنظِّمة بوضع الألوان كرمزٍ لكلّ مرشح ليَسْهل على الناخبين معرفة مرشحيهم[1]؛ حيث أشارت الدّلائل وفق حديث السيد «روجيه شمبار (Roger Chambard)» إلى فوز المعارضة بقيادة السَّعداوي، إلاّ أن مرشحي الحكومة أعلنوا أنفسهم فائزين واتّهموا المعارضة بتحريف النتائج، وهو الاتهام نفسه الذي وجّهه السَّعداوي إلى الحكومة ومرشحيها، وجاءت النتائج على النحو التالي:

- طرابلس: 22 منتخب من مرشحي الحكومة، 8 بشير السَّعداوي والمعارضة.
- بنغازي: 12 من مرشحي الحكومة، 3 من المعارضة.
- فزان: خمسة من مرشحي الحكومة.

فيما ظلّت 5 مقاطعات من دون معرفة نتائجها؛ حيث تم تأجيلها بسبب أعمال العنف والاحتجاجات[2].

في ظلّ هذه النتائج والاتهامات المتبادلة، رصد السيد «شمبار» الأجواء الانتخابيّة بقوله «في الوقت الذي مرّت فيه الانتخابات في كلّ من برقة وفزان بكل هدوء ولم تشهد أي مشاكل، كان العكس من ذلك تماماً في طرابلس، والتي شهدت أحداثاً دامية نَتَج عنها قتيلان و34 جريحاً في مصراتة، وقتيلان و17 جريحاً في قلعة بينيتو (Castel Beinto)، وفي ترهونة عشرات الجرحى، وفي سوق الجمعة بطرابلس شهدت أحداث عنفٍ بعد إعلان النتائج، ما اضطر الشرطة لاستخدام السّلاح وقتلت اثنين من المعارضة، وجرحت 44 آخرين، ولم يتوقف العنف عند ذلك، واستخدمت الشّرطة السّلاح ثانيةً وقتلت

(1) تقرير إيطالي عن الانتخابات، https://www.youtube.com/watch?v=W5h9NnrW_3s تمت مشاهدته يوم 23 أغسطس 2017م.

(2) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, document n°137/5247, de commandant d'armée à Sebha à gouvernement général Algérie à Ministère des Affaires Etrangères Paris, le 25 février 1952, p.1.

شخصاً آخر وجرحت 23، وفي نهاية المطاف تم حظر التّجوال من السّاعة 6 مساءً إلى 6 صباحاً»[1].

مواجهات وعنف بين المعارضة والشُّرطة[2]

إذا نظرنا إلى نتائج فزّان نجد الفائزين من مرشحي الحكومة، ما يطرح علامات استفهامٍ كثيرة حول دور الدّول الكبرى في ذلك، خاصّةً وأن مرشحي الحكومة من حزب الاستقلال، وأن هذا الحزب لديه علاقات وتحالفاتٍ بالدّول الكبرى. أمّا فيما يتعلّق بالسيد

(1) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, télégramme n°5250, consul de France à Ministère des Affaires Etrangères Paris, le 23 février 1952, échauffements entre manifestants de l'opposition et la police. P.1.

(2) تقرير مصوّر باللّغة الإنجليزيّة عن أحداث العنف بعد انتخابات عام 1952م:
https://www.youtube.com/watch?v=i_0XniQlLHw شوهد يوم 23 أغسطس 2017م.

السّعداوي فقد أشار القنصل الفرنسي في رسالته الموجّهة إلى الحاكم العام في الجزائر أن الحكومة أصدرت يوم 22 فبراير، الأمر بالقبض على السَّعداوي وأخيه وحفيده، وبالفعل تم اعتقالهم ونقلهم إلى قلعة بينتو (Castel Benito)، ومنها سيُطردون إلى مصر[1]. وفي واقع الأمر لم يَصْدُر عن المسؤولين الفرنسيين أي تصريحاتٍ بشأن ما حدث للسَّعداوي، ولكن يبقى الأكيد أنهم تخلّصوا من خطرٍ ربما في كان في المستقبل القريب سيكون محدقاً بتواجدهم في فزان، في حين اتهمته الحكومة بأنه يحمل جنسيةً غير ليبية، وفي الجلسة نفسها قرّرت الحكومة بعد التشاور مع الملك حل جميع الأحزاب السياسية[2].

خلاصة القول أن لعبة الانتخابات لا ترتكز على معاييرٍ ثابتة يمكننا الجزم من خلالها على صدق النوايا أو الأشخاص، وتظلّ اللُّعبة السياسية هي الأصعب من جميع النواحي إذا نظرنا لما يتعرّض له الشخص من العديد من التُهم مثل: التخوين، والتبعية، والرضوخ، وغيرها، ولكن ما يهم في نهاية المطاف هو ذكاؤه وحنكته السياسية التي توصله إلى مبتغاه، ولكن ربما كانت حنكة من تحالف مع فرنسا وإيطاليا وبريطانيا تهدف إلى فكرةٍ مفادها إعطاء الفرصة لاستقلال البلاد، ومن ثم يتم تصفية الحسابات في وقتٍ لاحق، وهذا ما حدث لفرنسا التي كانت أولى الضحايا التي تم أقصاؤها من ليبيا، بل حَدَث لها أسوأ من ذلك، فقد كانت القضية الليبية ضربة قاضية لفرنسا ولوجودها في شمال أفريقيا، خاصّةً في تونس والجزائر، اللتين تلقتا الدَّعم التّام من ليبيا أثناء كفاحهما ضد فرنسا من أجل الحرية والاستقلال، وكانت الحدود الليبية شرٌ وبيل على فرنسا، ما أدّى في نهاية المطاف لإقصائها من شمال أفريقيا وإنهاء وجودها العسكري. أمّا سياسة التّعنت والتّكبر التي اتّبعها السَّعداوي فلم تُجْدِ نفعاً سوى إنهاء حياته في المنفى. فالحقيقة أن ليبيا في

(1) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, télégramme n°5248, le 23 février 1952, le consul de France à Tripoli à M. le gouverneur général de l'Algérie, p.1.

(2) إبراهيم عميش، المرجع نفسه، ص260.

تلك الفترة كان النظام الفيدرالي هو الأنسب لها، لأنه إذا حصل عكس ذلك فسنجد قبائل تتناحر وحروباً أهلية لا نهاية لها، وخير دليلٍ على ذلك الصّراع السّياسي الحاصل اليوم في ليبيا.

مما سبق اتضح لنا أن المسارات التي مرّت بها مواقف الحكومة الفرنسيّة من القوى الوطنية في طرابلس تنبع من ثلاث نقاطٍ رئيسة حسب تبدّل المواقف الدولية من المسألة الليبية، وبمعنى آخر السياسة الفرنسية تجاه القوى الوطنية في طرابلس يحدّدها التطور الذي يطرأ على الملف الليبي في دهاليز السياسة الدولية.

ـ المسار الأول:

النّهج الأول الذي انتهجته فرنسا حيال الحراك الوطني في طرابلس هو عدم التدخل في النشاط السياسي هناك، مع عدم السّماح له بالتّمدّد داخل مناطق نفوذها في فزان. وكان ذلك واضحاً في تعليمات وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 13 فبراير 1945م، لمساعد القنصل الفرنسي في طرابلس، بعدم التّدخل في الشؤون الداخلية في طرابلس إلاَّ بالتنسيق مع الإدارة العسكرية البريطانية، وأن دوره بخصوص القوى السياسية في طرابلس تقتصر على مراقبة نشاطها فحسب، على الرغم من احتجاج القوى الوطنيّة على السّياسة الفرنسيّة نحو المسألة الليبية وذلك بتشجيع عودة إيطاليا إلى طرابلس.

ـ المسار الثاني:

بصدور قرار الأمم المتحدة في 21 نوفمبر 1949م القاضي باستقلال ليبيا، عملت الحكومة الفرنسية على مراجعة سياستها السابقة بخصوص المسألة الليبية، وأدركت أنها لن تستطيع إيقاف قطار استقلال ليبيا، إلاّ أنها عملت بحرفيةٍ كبيرة على إبعاد أنصار تيار الوحدة والقوميّة من لجنة الواحد والعشرين، والجمعية الوطنية، وذلك عبر إعادة صياغة تحالفاتٍ جديدة مع الأمير إدريس السنوسي والبي حَمَد سيف النصر ضدهم، وحاول السيد بشير السَّعداوي بعد شعوره بخذلان حلفائه الإنجليز له التّقرب من الإدارة الفرنسية والحصول على دعمها له، إلاّ أن الأخيرة وإن استمعت له لم تستجبْ لمطالبه بالتحالف

معه، وفضلت التفاهمات التي أجرتها مع بريطانيا والأمير إدريس السنوسي، كأساسٍ لنفوذها وحماية مصالحها في ليبيا.

ـ **أما المسار الثالث والأخير**: فكانت الانتخابات البرلمانية سنة 1952م فرصة أخيرة للسيد بشير السَّعداوي للعودة إلى واجهة السُّلطة بعد أن أُقصِى عنها بالتحالف مع محمود المنتصر، وأيضاً لمواقفه المتقلّبة من الدّستور وتأييده له وإعادة خلط الأوراق الانتخابية لغريمه محمود المنتصر، وذلك بترشحه عبر التحالف مع أولاد سليمان في منطقة سرت، إلاّ ان الإدارة الفرنسية فضّلت الإبقاء على تحالفاتها السابقة، والاكتفاء بنفوذها في منطقة فزّان، ولذلك رفضت كل طلبات المساعدة من قبل خصوم آل المنتصر حلفاء الملك وبريطانيا.

❐❐❐

المصادر والمراجع

* أولاً ـ المصادر والوثائق الفرنسية Archives françaises :

1 ـ وثائق وزارة الخارجية Archives ministère des Affaires Etrangères :

- Documents série Afrique Levant _ sous _ série anciennes colonies italiennes 1944 _ 1952. Représentations consulaires en Libye, Consulat de France à Tripoli 1944 _ 1952.
- Dossier n° 2 novembre 1944 _ novembre 1946.
- Dossier n° 3 1946 _ 1948.
- Dossier n° 5 questions politiques libyennes dossier général sept _ déc 1948.
- Dossier n° 6 questions politiques libyennes, janvier _ avril 1949.
- Dossier n° 7 questions politiques libyennes mai _ juin 1949.
- Dossier n° 10 questions politiques libyennes octobre novembre 1949.
- Dossier n° 13 janvier _ août 1950.
- Dossier n° 14 août octobre 1950.
- Dossier n° 15 octobre _ décembre 1950.
- Dossier n° 19 juin _ août 1951.
- Dossier n° 22 transfert des pouvoir février _ décembre 1951.
- Dossier n° 34 janvier _ décembre 1947 Fezzan _ Ghadamès.
- Dossier n°44, Libye 1944 _ 1952.
- Dossier n°60 Libye 1945 _ 1952.
- Dossier n°64 Libye 1944 _ 1950.

2 ـ وثائق وزارة الدفاع Archives de la défense :

- Armée de la Terre Algérie 1945 _ 1963, tome II.

ـ Dossier n°14 S 237 Libye ـ Fezzan 1943 ـ 1956.

3 ـ أرشيف وزارة مستعمرات ما وراء البحار Archives Outre ـ mer:

ـ Archives des Affaires Sahariennes, fond ministériel F81 1881 ـ 1963, Fezzan 1943 ـ 1959.

ـ Dossier n°979 Fezzan.

ـ Dossier n°986 Fezzan.

* ثانياً ـ المراجع:

أ ـ مراجع أجنبية:

ـ BESSIS, J., La Libye contemporaine, histoire et perspectives méditerranéennes, L'Harmattan, Paris, 1986.

ـ De Gaulle, C. Lettres notes et carnets, télégramme du général de Gaulle au général Leclerc, le 22 septembre 1942, Charles de Gaulle, éd. Plon, 1982.

ـ Guillen, P. «De Gaulle et l'Italie, de la Libération à son départ du pouvoir (1944 ـ 1946)». In: De Gaulle et l'Italie. Actes du colloque de Rome, 1er ـ 3 mars 1990. Rome: École Françoise de Rome, 1997. Pp. 45 ـ 64.

ـ Ibrahim, A. A., «Les conditions administratives, économiques et sociales au Fezzan sous l'administration militaire française 1943 ـ 1956», Moncef Ouannès et Pierre Noël Denieuil, Une histoire méconnue. Les relations libyo ـ françaises au Fezzan de 1943 à 1956, Édition Cérès, Tunis, IRMC, 2012.

ب ـ مراجع عربية:

1 ـ إبراهيم عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، الطبعة الأولى، دار برنيق للنشر، 2008م.

2 ـ أبوعجيلة محمد الهادي عبدالله، كفاح الشعب الليبي من أجل الوحدة والاستقلال (1939 ـ 1963م) دار ومكتبة الشعب، 2012م.

3 ـ ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي والحركة الوطنية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014م.

4 ـ سالمة محمد الجاضرة، الجماعات السياسية الليبية أصولها التاريخية مواقفها السياسية وممارستها التوفيقية (1943 ـ 1951م) رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قاريونس [سابقاً] 1984م.

5 ـ عقيل البربار، حركة التحرر الليبية في القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني الثلاثون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2011م.

6 ـ عز الدين العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

7 ـ كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة عبد القادر الوحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1987م.

8 ـ خدوري مجيد، ليبيا الحديث، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نيقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م.

9 ـ محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م.

10 ـ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، ج1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، 2004م.

11 ـ نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار إلى الاستقلال، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1958م.

*** ثالثاً ـ مواقع الكترونية:**

ـ قرار الأمم المتحدة رقم 515 بشأن ليبيا:

« http: // www. un. org/ fr/ documents/ view_doc. asp?symbol=A/ RES/ 515(VI)»

ـ تقرير إيطالي مصور عن استقلال ليبيا:

«https: // www. youtube. com/ watch?v=W5h9NnrW_3s»

❐❐❐